الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية الديمقراطية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة العقيد أحمد دراية أدرار

كليـة الآداب و العلوم الإنسانية
قسـم اللغة و الأدب العربي

مذكرة تخرج لنيل شهادة ليسانس

بعنوان

شعر السجون في الأدب الأندلسي
« أغماتيات المعتمد بن عباد » "أنموذجا"

من إعـداد: الطالبة:
الشريفة بن الشيـخ

تحت إشراف الأستاذة:
حـورية بكوش

السنة الجامعية : 2009 م/2010 م

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية الديمقراطية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة العقيد أحمد دراية أدرار

كليـــة الآداب و العلوم الإنسانية
قســـم اللغة و الأدب العربي

مذكرة تخرج لنيل شهادة ليسانس

بعنوان

شعر السجون في الأدب الأندلسي
« أغماتيات المعتمد بن عباد » "أنموذجا"

من إعـــــداد: الطالبة:
الشريفة بن الشيـــخ

تحت إشراف الأستاذة:
حـــورية بكوش

السنة الجامعية : 2009 م/ 2010 م

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

أهدي ثمرة جهدي إلى :

❖ رياض الحب : أمي ، أبي .

❖ سراج حياتي : العربي ، إسماعيل .

❖ أنس أيامي : حفصة ، كلثوم ، نورة ، حورية ، منى .

❖ عماد البيت : جدي وجدتي بارك الله لهما في عمرهما .

❖ رفيق عمري : محمد انصيري .

❖ توأم روحي : أسماء ، عائشة .

❖ كل من يحمل لقب بن الشيخ والداوي .

❖ كل أصدقائي وخلاني .

❖ كل من أوفى لروح الأندلس وأهلها .

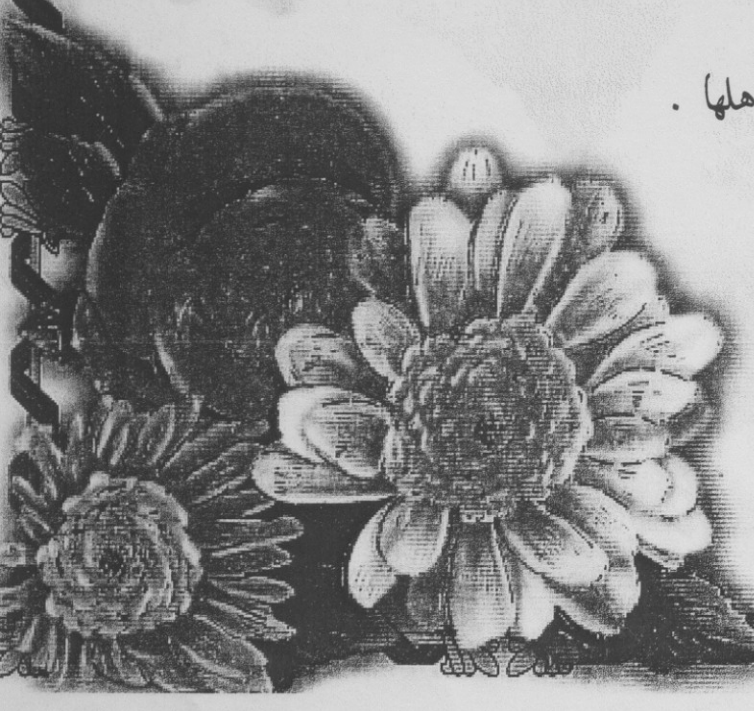

الشريفة بن الشيخ

شكر وعرفان

الحمد و الشكر لله تعالى على فضله وتوفيقه لي في إنجاز هذا العمل مصداقاً لقوله تعالى :

((لَئِنْ شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ)) سورة إبراهيم الآية 07

والشكر الجزيل لأستاذتي المشرفة حورية بكوش وجميع أساتذتي خصوصاً أ/مقدم الصديق ، أ/ حدباوي العلمي، أ/ الحاج قويدر محمد .

وإلى كل من ساعدني على إخراج هذا العمل خصوصاً عبد السلام و عبد الرحمان و مبروكة ، حادة و سعاد و الزهراء .

الشريفة بن الشيخ

المقدمة

مقدمة

إن الشعر العربي برمته تعبير عن واقع الإنسان بأمله وألمه فهو يحمل مكنونات الفرد إزاء بيئته ومجتمعه كونه جزء لايتجزء من فطرة العربي ، إذ نجد الشاعر الأندلسي هو الآخر جاء نظمه عبارة عن عصارة من التجارب الذاتية و الإجتماعية وما يحيط به من مظاهر الطبيعة ، كل هذه العوامل وغيرها أدت بالشاعر الأندلسي إلى التغني بجمال بيئته ، والتألم و التحسر حيناً آخر لأن الفاجع كان كبيراً لِمَا كان عليه في الماضي وما آل إليه في الحاضر .

دموع حارة ذرفها الأندلسيون وهم يتأرجحون بين أحضان الملوك و الأمراء الجافية ويتجرعون مرارة الحكم المستبد من جهة ، و التطاحن بين الملوك في حد ذاتهم من جهة أخرى ، فكان الشعر سبيل استنطاقهم و الدافع إلى تجسيد ما يشعرون به من خلال أبيات نظموها وهم بين جدران السجون تصويراً لواقعهم المرير.

وانطلاقاً من إيماني العميق بأهمية هذا الموضوع أدرجتُ البحث بعنوان شعر السجون في الأدب الأندلسي " أغماتيات المعتمد بن عباد أنموذجاً " ، ولا تفوتني الإشارة إلى بعض الدراسات المعالجة لهذا الموضوع من بينها إحسان عباس تاريخ الأدب الأندلسي عصر سيادة قرطبة و حبيب الراوي مأساة شاعر أو المعتمد بن عباد.

وكان إنجاز هذا العمل رغبة مني وحباً في رحلة فكرية إلى بلاد الأندلس و البحث في خبايا هذا العالم الذي ولىّ ولم يبق منه إلا الذكرى التي حفظتها لنا كتب التاريخ ، وفك إبهام العبارة التي لطالما شغلت فكري وهي " **العزيز الذي ذل**".

ولقد أثار إنتباهي في هذا الموضوع عدة إشكاليات هي :

ما ماهية الشعر الأندلسي ؟ وما الأسباب التي أدت إلى بروز شعر السجون ؟ ومن هو المعتمد بن عباد؟ وكيف كانت أغماتياته من الناحية الفنية؟

و للإجابة على هذا وذاك آثرت أن أضع خطة هذا العمل مستهلة إياّه بمقدمة فمدخل وثلاثة فصول، حيث تضمن الفصل الأول عنصرين ، والفصل الثاني حوى عنصرين هو الآخر ، أما الفصل الثالث فقد تضمن ثلاثة عناصر ثم تليه خاتمة.

بحيث حاولت أن أجعل من المدخل تمهيداً شاملاً للشعر في الأندلس وإبراز أهم ظواهره ، أما الفصل الأول فيتناول شعر السجون في الأدب الأندلسي أسبابه وموضوعاته ، و الفصل الثاني تطرقت إلى أغماتيات **المعتمد بن عباد** ، بما فيها حياته الإجتماعية و الأدبية أما الفصل الثالث فقد خصصته للجانب التطبيقي محاولة فيه دراسة الخصائص الفنية لإغماتيات **المعتمد بن عباد** ، وختمته بخاتمة جاءت شاملة لأهم النتائج المتوصل إليها من خلال هذا البحث.

ولقد اعتمدت على عدة مناهج من بينها : المنهج التاريخي و المنهج الوصفي ، فالوصفي كان في المدخل ، و التاريخي الوصفي كان في الفصل الأول ، أما الفصل الثاني فكان المنهج المتبع فيه وصفي فضلاً عن الفصل الثالث الذي استوجب فيه التحليل لدراسة الخصائص الفنية للأغماتيات.

أما فيما يخص الاعتماد على المصادر و المراجع التي كان لها الأثر البارز في إثراء مادة بحثي منها:

ابن بسام الشنتريني الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة .

المعتمد بن عباد (الديوان).

أحمد أمين ظهر الإسلام.

أما عن العراقيل التي واجهتني وأنا بصدد إنجاز هذا البحث فتكمن في ندرة بعض المراجع لاسيما الكتب التي تناولت شعر السجون ، ضف إلى ذلك صعوبة الإلمام بحيثيات هذا الموضوع نظراً لتشعبه.

وهذه كلها صعوبات قد أمكنني تجاوزها بفضل المولى عز وجل ، وبمساعدة الأستاذة المشرفة وكل أساتذة قسم اللغة و الأدب العربي.

المدخل

مدخل : لمحة موجزة عن الشعر الأندلسي :

مما هو معروف أن العرب بطبيعتهم من أشد الشعوب ولعا و حبا للشعر فالشعر عميق متأصل في نفوسهم ، و جزء من طبيعتهم التي فطروا عليها ، **وللرسول(ص)** في ذلك كلمة كاشفة يقول فيها :" **لا تدع العرب الشعر حتى تدع الإبل حنينها** " . فالشعر ديوان العرب.

والعرب بطبيعتهم يعتزون بأصلهم وعروبتهم ووطنهم غاية الاعتزاز ، وهذا ما حدث بالضبط للعرب عندما دخلوا الأندلس فاتحين إياه .

فكانت الحضارة الأندلسية قد مضت تبني نفسها على قوالب مستعارة من حضارة الشرق.[1]

فهاجر الشعر إلى الأندلس مع العرب المهاجرين، حتى كان الشعراء يخوضون به الفرسان على الجهاد ويثيرون الحماسة في صدورهم عند مواقف الأهوال ،فالكلام عليه لا يخرج بأسلوبه ولغته ومعانيه عن الشعر الأموي في المشرق ،ولا غرو فأصحابه إسلاميون مشارقه .[2]

الأدب الأندلسي أدب محلي ينتمي لبيئة خاصة ،لكنه أحيانا يلجأ إلى تقليد النموذج المشرقي ويصل في تقليده إلى حد العبودية.[3]

فبناة هذه الحضارة من أمراء وخلفاء وملوك لم يكونوا مدفوعين إلى ذلك بباعث المنافسة لحضارة المشارقة بمقدار ما كانوا مدفوعين- كما هو ملاحظ - بباعث نفسي وهو الرغبة في أن يجعلوا من الوطن الجديد امتدادا للوطن الأم،حتى ظلوا يشعرون أنهم في بعدهم غير بعيدين وفي اغترابهم غير مغتربين .

ولما كان الأندلسيون مرآة عاكسة لإخوانهم المشارقة على حسب صاحب الذخيرة ومن يجاريه في رأيه **كأحمد أمين** على سبيل المثال الذي يقول عن ذلك :"وأيا ما كان فشعراء الاندلس في نظرنا لم يفلحوا كثيرا في استقلالهم عن الشرق ،وابتكارهم وتجديدهم كما لم يفلح في ذلك اللغويون والنحويون و الصرفيون .ولذلك لو أغمضنا أعيننا وجهلنا قائل القصيدة أهو شرقي أم أندلسي ،لم نكد نحكم حكما صحيحا جازما على الشاعر أغربي هو أم مشرقي .ولذلك كثيرا ما تنسب بعض الأبيات إلى أندلسي وينسبها بعينها بعضهم إلى مشرقي،لعدم التمييز الواضح ،حتى عند الخبراء ...ولو كانت شخصية الأندلس واضحة في شعر أهلها لصعب نسب أبيات أندلسية إلى شاعر شرقي."[4]

ومن ثم فإن ما يلاحظه **أحمد أمين** من التطابق التام والتشابه في الخصائص الأسلوبية وطبيعة المعاني إلى الحد الذي يصعب معه التمييز بين الشاعر الأندلسي والشاعر المشرقي ، فيحيلنا كل هذا إلى أنهم كانوا مشارقه الأصل والثقافة .

وما دامت ثقافتهم ترجع إرهاصاتها الأولى إلى الوطن الأم – وهو بلاد المشرق – فان شعراء الأندلس اتجهوا إلى الطبيعة الملهمة في بيئتهم وقبسوا منها وأغرموا بها ،وهاموا

---

[1]- ينظر عبد العزيز عتيق الأدب العربي في الأندلس ، دار النهضة العربية بيروت لبنان ، (د،ط) 1967 ص 162
[2]- ينظر بطرس البستاني أدباء العرب ، دار مارون عبود ، (د،ط) ، (د،ت) ص 37
[3]- ينظر ماريا خيسوس روبييرا متي ترجمة وتقديم اشرف علي دعدور المجلس الأعلى للثقافة (د،ط) 1999 ص 46
[4]- احمد أمين ظهر الإسلام ، دار الكتاب العربي ، بيروت لبنان ، (د،ط) 2008 ، ص 446

بالطبيعة فوصفوا كل ما وقعت عليه نواظرهم بألفاظ عذبة وأساليب رائعة.[1] فكانت الطبيعة عندهم من أهم ظواهر الشعر الأندلسي الشائعة آنذاك .

فالأدب الأندلسي عامة والشعر خاصة أحد جوانب هذه الحضارة العربية الجديدة ،وإن بدا عليه سيماء الاحتذاء و التقليد لشعر المشارقة ،فهذا لا يدل على عجز الشعراء على الابتكار وإنما دلالة لما يحسه الأندلسي من انتمائه إلى الأصل والرغبة في استمرار الارتباط به وإبقائهم على تقاليد الشعر العربي المتوارثة إلا صورة من صور هذا الانتماء.[2]

فلما ولّى الأندلسيون وجوههم شطر المشرق في أكثر شؤونهم لأنه مطلع أنوارهم ومهد حضارتهم ،ولأنهم في أهله المثل الأعلى الذي ينبغي أن يقتدى به ،فراحوا يقتفون آثارهم وينسجون على منوالهم[3].فامتزج بهذا مضمون الشعر الأندلسي بتجارب شعرائه الذاتية وفيما تخلق في نفوسهم من معان وأفكار نابعة من بيئتهم الطبيعية والاجتماعية وفيه تتجلى شخصية الأندلسي واضحة فيرى في شعرهم معان سبق إليها شعراء المشرق نتيجة دراستهم ومطالعتهم وحفظهم لأدب إخوانهم .

و الشعر في الأندلس لم تقف رحاه على الشعراء وحدهم ،وإنما وجد مشاركة إلى حد الإجادة أحيانا كثيرون من أهل البلاد على اختلاف أهوائهم ومشاربهم ومدى بعدهم عن الأدب من حيث أعمالهم وتخصصاتهم .فنحن إذا ما نظرنا إلى شخصيات الأندلس قلما تخلو ترجمة أحدهم من شعر منسوب إليهم سواءً كان يخص الأمير أو الوزير أو الكاتب أو غير ذلك .[4]

و هذا يوحي لنا بأن الثقافة الأدبية في الأندلس كادت أن تكون عامة بين المثقفين نتيجة تأثر وتأثير.

ففُتِنُ شعراء الأندلس بطبيعة بلادهم وبمناظرها الجميلة الخلابة إلى حد التغني بها وطريقتهم على تلمُّس الجمال في الأشياء المحيطة بهم ،فقام وصفهم للطبيعة على عدة عناصر أهمها:الجري وراء الصور الطريفة و الإكثار من التشبيهات[5]،وذلك لإظهار مهارة الشاعر وبراعته في رسم المناظر وتشخيصها براعة كبيرة أمثال **ابن خفاجة** الذي ترك أثرا كبيرا في شعر الأندلس من خلال وصفه الدقيق للجبل حتى سار على نهجه العديد من الشعراء أمثال **ابن سعيد و مطرف الغرناطي** .[6]

أضف إلى هذه الظاهرة نجد ظواهر أخرى قد شاعت عند الأندلسيين حيث كانوا يكتبون الشعر في الطبقات الكبرى ،فكثير من الحكام والأمراء بالأندلس شعراء ومنهم المتفوق والمكثر ومنهم المقل .ونادرا ما تجد من بين الأفراد المشهورين من لا يمارس قرض الشعر بداية من **"عبد الرحمان الداخل"** وصولا إلى آخر العهد الأموي .[7] و إلى جانب هذا نجد صلة الشعر بالتاريخ تمثل السجل التاريخي الذي يستحق التخليد لما صنعوه ومجدوه .

---

[1]- ينظر علي أحمد عبد الهادي الخطيب قطوف من ثمار الأدب الأندلسي ، دار نهضة الشرق ، جامعة القاهرة ، ط1 2000 ص

[2]- ينظر عبد العزيز عتيق الأدب العربي في الأندلس ص 162

[3]- ينظر بطرس البستاني أدباء العرب ص37

[4]- ينظر المرجع السابق ص167

[5]- ينظر فوزي عيسى في الأدب الأندلسي ،دار المعرفة الجامعية (د، ط) 2004 ص40.

[6]-ينظر محمد بن محمد المقري التلمساني نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب ،حققه إحسان عباس مج:1 دار صادر بيروت ، (د، ط)1988،ص167.

[7]- ينظر يوسف عيد دفاتر أندلسية (في الشعر والنثر والنقد والحضارة والأعلام).المؤسسة الحديثة للكتاب –طرابلس.لبنان (د، ط)، (د، ت) ص307

أما إذا صرفنا النظر إلى العصبية والثقافة التي يحويهما الشعر فأولهما تمثل الصراع الأدبي بين العرب والمولدين إلى جانب الصراع السياسي ،أما الثانية فتعتبر الشعر روح المحافظة ويقوم بدور الخصم العنيد للعناصر العلمية أو ما كان يعد وقتها ضربا من الثقافة العلمية .[1]

فلما فشا الأدب في الأندلس فشوا واسعا ولا سيما الشعر منه ،وكما ذكرنا آنفا أن الثقافة الأدبية في الأندلس كانت في معظمها استيحاءً لأدب المشرق [2]،فقد تولد عن هذا نجوما لا يمكن عدهم وإن حاولنا عد نجوم السماء ، فذكر شاعر منهم يحيلنا إلى آخر ،فنجد منهم على سبيل المثال :**ابن عبد ربه الأندلسي** (246-328هـ)،**وابن هانئ الأندلسي**(326-363هـ) **وابن خبون المتوفى** قبل عام 533هـ،**والفتح بن خاقان المتوفى** عام 529هـ، **ولسان الدين بن الخطيب** (713-776هـ) [3].

فازدهر الشعر في الأندلس مع هؤلاء الشعراء ومع غيرهم ،إذ كان ازدهاره ونهضته موضع العجب من كل باحث وناقد ، حيث كانت مرجعيته إلى عوامل متعددة تمثلت في الروح الشاعرية الموهبة المتأصلة في نفس العربي أينما كان وحيثما ارتحل على غرار البواعث التي دفعت بالشعراء إلى قرض الشعر كطبيعة بلاد الأندلس وما فيها من المناظر المختلفة والأمصار المتصلة وغيرها من الجمال الأخاذ .

أضف إلى ذلك عناية الملوك والأمراء بقرض الشعر[4]،وهذا ما لحظناه خصوصا في عهد ملوك الطوائف الذي تميز بعدم الاستقرار مما أدى بهم إلى الشعور بقلق شديد ودائم ،فرأى الأمراء على غرار الرعية جمعاء ألا يدخلوا في الحسبان إلا حاضرهم متجاهلين مستقبلا غير مضمون لا يبشر بخير فألقوا بأنفسهم في الملاذ بمختلف أنواعها للتخلص من واقع كله تعاسة وشقاء ،وبلا شك فكل بلاط لا يكاد يخلو من شيوع المجون و إنحلال الأخلاق .

وإنه لمن المعلوم أن الفن يتماشى مع اللذة و يسايرها ،والدليل على ذلك أننا أمام ازدهار باهر لحياة ثقافية واسعة مكثفة، كما أنه اعتبرت هذه الفترة الزمنية أي **القرن الخامس الهجري** الموافق **للحادي عشر المسيحي** العصر الذهبي بالنسبة للشعر من حيث الكمية والنوعية[5]،فكثرة ملوك الطوائف وتنافسهم في الأبهة ومظاهر الملك ثم عداوة بعضهم لبعض جعلتهم في حاجة إلى شعراء يمدحونهم رفعا لمكانتهم في عيون أعدائهم أو إغاظة لأندادهم و منافسيهم؛

حتى أخذ ملوك دول الطوائف وأمراؤها ووزراؤها يحتفون بالشعراء ويتنافسون عليهم وعلى ضمهم إلى بطانتهم فينظمون لهم الشعر ويسطرون ما يفعلون من مآثر ومحامد ، فلا بدع إذا كثر شعراء ذلك العصر وعظم شعر المدح وجرى حتى على ألسنة الملوك والأمراء

---

[1]- ينظر يوسف عيد دفاتر أندلسية ص314/313.

[2]- ينظر مصطفى السيوفي تاريخ الأدب الأندلسي ،الدار الدولية للإستثمارات الثقافية ش ، م،م القاهرة – مصر- ط1 :2008 ، ص 318.

[3]- حنا الفاخوري الموجز في الأدب العربي وتاريخه (الأدب في الأندلس و المغرب أدب الإنحطاط) ج 3 ، دار الجيل : بيروت ، ط2 1991 ، ص 200

[4]- ينظر المرجع السابق ص311.

[5]- حمدان حجاجي محاضرات في الشعر الأندلسي في عصر الطوائف ألقاها بالكوليج دي فرانس بباريس في شهر مارس سنة 1993 ص 21.

[6]- ينظر عمر فروخ الأدب في المغرب والأندلس (إلى آخر عصر ملوك الطوائف)ج4دار العلم للملايين بيروت(د. ط) (د ،ت)ص398.

والوزراء ،بحيث كان المعتمد شاعرا مجيدا ينظم الشعر و يتذوقه وينقده ولم يكن يستوزر إلا من كان أديبا أو شاعرا .[1]

فالأندلسي بصفة عامة يحمل ميل غريزي إلى قرض الشعر والتغني به لما يجده في ذلك من متعة وانشراح.

وبغض النظر عن تلك الظواهر الأدبية التي عرفها الأدب العربي سواء في المشرق أو المغرب ،يبقى الأدب العربي برمته قد عرف في تاريخه موضوع السجون ،فكان جانبا من الجوانب التي عالجها الأدباء والشعراء والمفكرون .

ولا تخلو عصورنا الأدبية العربية من شعراء سجنوا لأسباب مختلفة ،فالمجتمع العربي منذ القديم عرف السجون بأنواعها كافة، بحيث كان الشاعر لسان حال هذا المجتمع الذي اكتنفه التطور وانتقل من حال إلى حال .فهو الوسيلة الإعلامية التي تنقل الأخبار وتسجل الوقائع و تتغنى بالبطولات ،وتشكل الذاكرة المتطورة عبر الزمن .[2]

وهذا ما سنلاحظه مع أشهر شعراء الأندلس الذين زُجَّ بهم في السجن، فإحساس شعراء الأندلس المرهف ومدى عمق ارتباطهم بوطنهم دفعهم إلى اقتحام أنفسهم في الحياة السياسية وتقلباتها من حال إلى حال أمثال **الغزال**(156هـ)الشاعر المطبوع الذي تميز بعمق النظرة إلى الحقائق الوجودية وسلامة الطبع وسلاسة التعبير والجري مع الطبيعة الغنية الفياضة التي تبتعد عن التعقيد والتصنع و الإغراب .[3] ضف إلى ذلك **ابن زيدون** الأديب البارع المجيد المحسن صاحب ديباجة شعر رائقة تلقي على شعره وضوحا وحلاوة وموسيقى وتظهر فيها البراعة في الصناعة .[4]

وإلى جانب هؤلاء نجد **المعتمد بن عباد** أشهر شعراء الأندلس الذين تحلوا بحلى الشعر وقرضه وأبرع فيه إذ حكى في شعره مرارة السجن وألم القيود فأضحى بصرخته ممثلا آماله وآلامه في أبيات سجلت الخلود في ذاكرة الزمن.

---

[1] - ينظر مصطفى السيوفي تاريخ الأدب الأندلسي ص 309

[2] - ينظر سالم المعوش شعر السجون في الأدب العربي الحديث والمعاصر ، دار النهضة العربية ، بيروت لبنان ، ط1 : 2003 ، ص 43

[3] - ينظر حنا الفاخوري الموجز في الأدب العربي وتاريخه (الأدب في الأندلس والمغرب أدب انحطاط) ج3 ، ص 200

[4] - ينظر عمر فروخ الأدب في المغرب والأندلس (إلى آخر عصر ملوك الطوائف) ج4 ، ص 593

الفصل الأول

شعر السجون في الأدب الأندلسي

الفصل الأول : شعر السجون في الأدب الأندلسي

I-أسباب شعر السجون:

تعد معاناة شعراء الأندلس منتزعة من صلب الحياة الإجتماعية وواقعها السياسي حتى نال السجن منهم عدداً لابأس به ، ووقعت عليهم عقوبة السجن لا لأنهم كانوا دائماً في صفوف المعارضة ، وإنما لأن الشاعر كان في الوقت نفسه شخصية سياسية يصيبه ما يصيب رجل السياسية عند تقلب الأوضاع و اصطدام المصالح المتباينة و اضطراب حبال الأهواء[1] .

ففكرة السجن تعد من بين الأشياء العجيبة التي تفتق عنها ذهن الإنسان منذ وطأت قدماه الأرض وسبر أثرها مع مرور الوقت في مواجهة الخارجين عن أنظمة الجماعات التي ينتمون إليها أو تقويمهم في بعض الأحيان ، وإعادتهم إلى دائرة النظام العام[2].

ولقد زخرت كتب التاريخ الأندلسي بعدة شعراء تعرضوا للسجن و النفي بسبب عدم رضى بعضهم عن ولاة الأمر وسياستهم ، أو قيام بعضهم بهجاء هؤلاء الساسة بشعر يحتقرونهم فيه [3]، نتيجة تقلب الأحوال السياسية واستبداد بعض الحكام بالسلطة وإهمالهم شؤون الرعية وتقاعسهم عن الجهاد ، أو فساد العلاقة بين الشاعر و الحاكم كأن يبعده الحاكم عن دائرة إهتمامه أو يضن عليه بالعطاء [4].

أضف إلى ذلك الشعراء الذين أتهموا بالزندقة أي كل من كان يشتغل بعلوم المنطق و الفلسفة والجدل و الاعتقاد ، وهذه الأمور كانت محرمة أيام **المنصور بن أبي عامر**[5].وسجن كل من عُثر عليه اعتناقه لأي مذهب فكري فلسفي فإنه يُنفى وتحرق كتبه كما فعل صاحب إشبيلية **بابن هانئ الأندلسي** إذ أمر بإبعاده لأنه كان يأخذ بمذاهب الفلاسفة[6]، كاعتناقه لمذهب الفاطميين.

ونجد " **قاسم بن محمد القرشي** " المعروف " **بالشبانسي** " قد أتهم بالرهق في دينه، ويعني ذلك ضعف الدين و الجهل وخفة العقل و الاستهتار بتعاليم الدين و الإسراف في اللهو و الدعوة الإباحية[7] . ومن بين الشعراء الذين زُجَ بهم في السجن عن ذنب إقترفوه أو تهمة ألصقت بهم نجد على سبيل المثال لا الحصر ، **هشام بن عبد العزيز** سجين **الأمير المنذر** الذي أساء له الأدب حتى حقد عليه ، ولما جاء [illegible] إلى الإمارة استحجب **هاشما** أي جعله رئيسا للوزارة وأوهم هاشم أنه نسي ما كان بينهما حتى نكبه وحبسه في سجنه **المُطبق** الذي ذاق فيه أنواع التعذيب[8] .

---

[1] - ينظر إحسان عباس تاريخ الأدب الأندلسي عصر سيادة قرطبة .دار الثقافة .بيروت .لبنان ط 6 :1981 ص99

[2] - رشا الخطيب ، شعراء وقصائد خلف سجون الأندلس .www.almshreg.com/vb/t674.html

[3] - ينظر محمد سعيد محمد درسات في الأدب الأندلسي منشورات جامعة سبها ، سبها ليبيا .(د- ط))(د-ت)ص196.

[4] - فوزي عيسى الهجاء في الأدب الأندلسي .دار الوفاء لدنيا الطباعة و النشر ط 1: 2007 ص34.

[5] - المرجع السابق ص196

[6] - بطرس البستاني أدباء العرب في الأندلس وعصر الإنبعاث . ص60 /61 .

[7] - عمر فروخ تاريخ الأدب العربي ج 4 ص267.

[8] - محمد سعيد محمد المرجع السابق ص197 .

أما سجَّان **الغزال** فكان **عبد الرحمن بن الحكم** الذي ولاَّه كثيراً من شؤون دولته فأسند إليه مناصب إدارية ودبلوماسية ، وكان فيها دائم الإستقلال برأيه[1]،حيث ولاَّه قبض الأعشار (نصيب الدولة من المواسم) وخزنها[2]، ولما حلَّت أيام المجاعة استغل الفرص وتصرف بما ليس له وبدد المال الذي قبضه في وقت سريع فغضب الأمير وطالب **الغزال** بتسديده فلم يستطع ذلك إلى أن أمر بسجنه وتقييده[3].

إذا كان الشعراء السابق ذكرهم تتراوح أسباب دخولهم السجون بين السياسة و الهجاء و الدين ، فإن **أبو عبد الملك مروان بن عبد الرحمن بن مروان بن عبد الرحمن الناصر** من أمراء بني أمية لم يتمتع بالحياة كما تمتع بها أمثاله من الأمراء الأندلسيين إذْ سُجن وهو ابن ست عشر سنة ،ومكث في السجن ست عشر سنة وعاش بعد إطلاقه ست عشر سنة4 ،حيث كان **مروان بن عبد الرحمن** على حب بجارية ربيت معه في بيتهم وكان يظن أنها ستكون من نصيبه ، غير أن أباه استأثر بها دونه ، فدخلت **مروان** غيرة شديدة جعلته يفقد توازنه ويقدمُ على قتل أبيه ، فانتهز فرصة في بعض خلوات أبيه مع تلك الجارية فقضى عليه و أخذ بجرمه ذلك وسُجن5 ، وكان هذا في أيام **المنصور بن أبي عامر** ثم أطلق سراحه بعد ذلك فلُقب **بالطليق**6.

لقد كان **الطليق** أديباً شاعراً مكثراً وأكثر شعره في السجن ، فهو يتميز بملاحة شعره وحسن تشبيبه [7].بحيث كان السجن المدرسة التي علمته الأدب و الشعر وعمقت قريحته الشعرية ودرَّبته على الصبر و تحمُّل الألم[8] لشدة المعاناة عليه وهو فتىً يافعاً.

وسُجن شعراء آخرون **كأحمد بن محمد بن فرج الجياني** صاحب كتاب " **الحدائق**" بسبب كلمة عامية نطق بها نُقلت عنه وأقام في السجن **بجيان** سبع أعوام أو تزيد.

وهكذا انتهى المطاف بهؤلاء الشعراء في غياهب السجون على الرغم من جلال قدرهم وعِظم مكانتهم.

---

[1] ـ محمد سعيد محمد دراسات في الأدب الأندلسي ص 132.
[2] ـ عمر فروج تاريخ الأدب العربي ج4 ص117.
[3] ـ ينظر إحسان عباس تاريخ الأدب الأندلسي عصر سيادة قرطبة ص164.
[4] ـ مقداد رحيم رثاء النفس في الشعر الأندلسي . عمان دار جهينة .ط1 ;1997 ص200.
[5] ـ ينظر المرجع السابق ص 224 .
[6] ـ أبي محمد بن أبي نصر فتوح بن عبد الله الأزدي جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس تحقيق روحية عبد الرحمن السويفي ، دار الكتب العلمية . بيروت ،لبنان .ط 1 ;1997 ، ص308.
[7] ـ مقداد رحيم المرجع السابق ص201.
[8] ـ إحسان عباس المرجع السابق ص225

II – موضوعات شعر السجون:

باعتبار السجون صارت الموطن الجديد لمعظم شعراء الأندلس فهي عالم غريب وموحش يثير في النفس المشحونة مشاعر الألم و الذكريات ، وعلى هذا دارت أغلب أشعار السجون حول موضوع رئيسي يشترك فيه جُلّ الشعراء هو وصف مأساتهم التي حلّت بهم وأثرها على نفوسهم.

لقد إرتأى الشاعر السجين من خلال واقعه المعاش أن ينقل نقلاً واقعيا هذه المعاناة في تصوير معبر عما يدور بين جدران هذه الأماكن المقفرة من جميع النواحي حتى تراوحت موضوعاتهم بين وصف السجون ووضعها ، وما تعرضوا له من أعمال شاقة وسوء المعاملة وكيف كان وقعها الأليم على نفوسهم و الحديث عن الأمل و اليأس ثم الحكمة وخلاصة التجربة التي استخلصها السجين من تقلب الأيام.

ومن بين الشعراء الذين ذاقوا أشد أنواع التعذيب و الإهانات "**هاشم بن عبد العزيز** " الذي وصف مكان سجنه **المطبَقْ** مخاطباً جاريته "عاجاً[1] "قائلاً :

وَإِنِّـــي عَدَانِي أَنْ أَزُورَكِ مُطبَــقٌ وَبَابٌ مَنِيعٌ بِالحَدِيدِ مُضَبَّبُ

فَإِنْ تَعْجَبِي يَا (عَاجُ) مِمَّا أَصَابَنِي فَفِيَّ رِيْبِ هَذَا الدَّهْرُ مَا يَتَعَجَّبُ[2]

ما أصعب محنة الشاعر وهو يتأجج شوقا لرؤية جاريته "**عاجا**"، فوجوده داخل سجن أرضي مظلم محكم الإغلاق لا يمكن مغادرته مهما حاول[3]. حتماً سيزيد من أنينه ووجده عليها.

وهذا ما نجده أيضاً عند "**محمد بن مسعود البجّاني الغساني** " المنتجع للملوك القاطن بقرطبة[4] يقول في سجنه :

كَأَنَّمَا السِّجْنُ صَدْرِي قَدْ تَضَمَّنَه شَخْصِي وَشَخْصِي سِرِّي هُوَ كَاتِمُهُ[5]

ما أبلغ هذا التشبيه حين يشبه الشاعر سجنه بصدره وأن ذاته قد تضمنت هذا الصدر الذي بلا شك حاوي وكاتم الأسرار.

"أما **عامر بن شهيد الأندلسي** " فيصف سجنه قائلاً :

مُقِيْمٌ بِدَارٍ سَاكِنُوهَا مِنَ الأَذَى قِيَامٌ عَلَى جَمْرِ الحِمَامِ قُعُودُ

وَيَسْمَعُ لِلْجَانِ فِـــي جَنَبَاتِهَـــا بَسِيْطٌ كَتَرْجِيْعِ الصَّدَى وَنَشِيْدُ

---

[1] ـ ينظر عبد القادر هني مظاهر التجديد في الشعر الأندلسي قبل سقوط قرطبة ص219 .

[2] ـ إحسان عباس تاريخ الأدب الأندلسي عصر سيادة قرطبة ص100

[3] ـ ينظر محمد سعيد محمد دراسات في الأدب الأندلسي ص197.

[4] ـ أبي محمد بن أبي نصر فتوح بن عبد الله الأزدي الحميدي الأندلسي جذوة المقتبس ص82.

[5] ـ المرجع السابق ص198 .

"وَما اهْتَزَّ بابَ السِّجنِ إلاّ تَفطَّرتْ قُلوبٌ لَنا خَوْفَ الرَّدى وَكُبُودُ [1]

وكأني بالشاعر يشبه سجنه بدار يقيم فيها وهو على حالة من الاضطراب و الخوف جراء ترديد الأصوات المريعة، ويزداد خوفاً كلما فُتح باب السجن ظناً أنه سيأخذ للموت.

وقد وصف أيضاً " **أبا مروان الجزيري**" معتقله الواقع بقلعة **طرطوشة** فهو وصفاً مستوفيا مؤثرا حتى قال عنه صاحب **الروض المعطار** : إن وصف هذه القلعة " لم يستوفه بالصفة إلا **عبد الملك بن إدريس** الكاتب المعروف **بالجزيري** حين سجنه بها المنصور بن أبي عامر " [2] مثل قوله:

في رَأْسِ أَجْرَدَ شَاهِقٍ عَالِيَ الذُّرَا مَا بَعْدَهُ لِمُؤَمِّلٍ مِنْ مُبْصِرِ
يَهْوِي إِلَيْهِ كُلَّ أَجْرَدَ نَاعِبٍ وَتَهُبُّ فِيهِ كُلَّ رِيحٍ صَرْصَرِ
وَيَكَادُ مَنْ يَرْقَى إِلَيْهِ مَرَّةً مِنْ دَهْرِهِ يَشْكُو إِنْقِطَاعَ الأَبْهُرِ [3]

يتضح من خلال الأبيات أن معتقل الجزيري يقع بمكان قفر شاهق يكاد يعانق النجوم لفرط علوه ، بحيث لا يسمع فيه من صوت غير هبوب الرياح و أنسة الغربان ، فهو إذن بعيداً عن عالم الأحياء جاعلاً من ذكرياته الماضية جليساً له ينسيه أسى البعد والاعتقال . [4]

وقد دفعت غربة السجن أيضاً بعديد من الشعراء إلى الحنين فحنوا إلى الأب و الأم والأبناء و الوطن ، حيث نجد **عبد الكريم القيسي** في الحنين إلى أبيه وهو بين جدران السجون يقول :

يَا نَاظِرَ الطَّرْفِ يَاقِطْعَةَ الكَبِدِ وَمَوْضِعَ الحُبِّ فِي قُرْبِي وَفِي بُعْدِي
وَمَنْ هَوَاهُ لَدَى القَلْبِ المُشَوَّقِ غَدَا فِي كُلِّ آوِنَةٍ كَالرُّوحِ مِنْ جَسَدِي
وَنَظْرَةٌ مِنْكَ تُشْرَى بِالحَيَاةِ أَرَى شِرَاءَهَا دَائِمًا مِنْ أَعْظَمِ الرَّشَدِ
فَلَيْتَ شِعْرِي مَتَى عَيْنِي تَفُوزُ بِهَا فَكُحْلُهَا أَنْ تَرَاكَ اليَوْمَ قَبْلَ غَدِ[5]

يبدو أن هذه الأبيات تقطر حزناً وألماً على فراق الشاعر لوالده وطول البعد عنه و الشوق لرؤياه لتكتحل عيناه به . فعاطفة الشاعر اتجاه والده صادقة وفيها رقة لأن التجربة كانت قاسية ومرة عليه.

---

[1] ـ ديوان ابن شهيد الأندلسي ورسائله جمعه وحققه وشرحه محي الدين ديب ، المكتبة العصرية ، صيدا لبنان ، ط 1 : 1997 ص 64/63 .
[2] ـ عبد القادر هني مظاهر التجديد في الشعر الأندلسي قبل سقوط قرطبة ، ص 227 .
[3] ـ محمد سعيد محمد دراسات في الأدب الأندلسي ، ص 198 .
[4] ـ ينظر المرجع السابق ، ص 227 .
[5] ـ محمد سعيد محمد المرجع السابق ، ص 208 .

إذا كان القيسي قد اشتاق لوالده ، فها هو ابن زيدون يحن هو الآخر إلى والدته محاولا تصبيرها قائلاً :

أَمُقْتُولَةَ الأَجْفَانِ مَالَكِ وَالِهَا ؟ أَلَمْ تُرِكِ الأَيَّامُ نَجماً هَوَى قَبْلِي؟
أَقِلِّي بُكَاءً لِسْتِ أَوَّلَ حُرَّةٍ طَوَتْ بِالأَسَى كَشْحاً عَلَى مَضَضِ الثَّكْلِ
وَفِي أُمِّ مُوسَى عِبْرَةٌ إِذْ رَمَتْ بِهِ إِلَى اليَمِّ فِي التَّابُوتِ فَاعْتَبِرِي وَاسِلِي[1]

يظهر من خلال هذه النماذج أن الشاعر يحاول بكل مالديه من قوة التحمل أن يصبر والدته ويقوي من عزيمتها لتقلل من حجم البكاء عليه حين زارته في محبسه ، وقد تعمد **ابن زيدون** إختيار قصة **أم موسى** لتعتبر منها كونها ألقت بولدها ثم حدثت المعجزة وعاد إليها.

يستبد الشوق و الحنين بنفوس الشعراء كلما أشتدت ظلمة السجن عليهم فراحوا يرفعون أشواقهم إلى ذويهم كالذي نجده عند أبي **مروان الجزيري** في قصيدته المشهورة التي بعث بها إلى أبنائه ، وهو يتذكر موقف وداعه الأهل إلى هذا المعتقل بقلعة طرطوشة[2]حيث يقول فيها:

وَإِذَا الفَتَى فَقَدَ الشَّبَابَ سَمَالَهُ حُبَّ البَنِينَ وَلَا كَحُبِّ الأَصْغَرِ
عَجَبًا لِقَلْبِي يَوْمَ رَاعَتْنَا النَّوَى وَدَنَا وَدَاعَكَ كَيْفَ لَمْ يَتَفَطَّرِ
مَا خِلْتَنِي أَبْقَى خِلَافَكَ سَاعَةً لَوْلَا السُّكُونُ إِلَى أَخِيكَ الأَكْبَرِ[3]

تقطر الأبيات حزنا على فراق الوالد لأبناءه وخصوصاً أصغرهم سناً ، فهذه دلالة على شدة تعلقه بهم وتصوير حجم الأسى لبعدهم عنه.

هذا ما قاله في أبنائه ، أما ما بعث به إلى زوجته فهو يفوق كل اعتبار حين همس قائلا:

أَسَفِي عَلَى فَقْدِي المَتَاعِ بِحُسْنِهَا وَظِلَالِهَا وَنَسِيمِهَا المُتَعَطِّرِ
اللهُ يَعْلَمُ أَنَّنِي مُذْ غُيِّبَتْ عَنِّ نَاظِرِيَّ هَجَرْتُ حُسْنَ المَنْظَرِ
وجَنَيتُ صَبْراً بَعْدَهَا مُرَّ الجَنَى وَمَزَجْتُ سُمًّا دُرَّةَ العَيْشِ المَرِّي
بَاقَرَّةَ العَيْنَيْنِ أَنِّي كُلَّمَا رُمْتُ السَّلْوَ أَبَاهُ شَوْقِي المُعْتَرِي[4]

يتحسر الشاعر على فقد التمتع بحسن جمال زوجته وبهائها فمنذ إيداعه السجن فارق كل ماهو جميل وحلت محله الأشياء البشعة ، ومازاد في أنينه أشواقه التي منعته كلما حاول نسيانها.

---

[1] - ديوان ابن زيدون ، تحقيق حنا القاخوري ، دار الجيل بيروت .ط 1 1990
[2] - ينظر عبد القادر هني مظاهر التجديد في الشعر الأندلسي قبل سقوط قرطبة ص 222.
[3] - المرجع نفسه ص223.
[4] - محمد سعيد محمد دراسات في الأدب الأندلسي ص209.

طول السجن وسوء المعاملة دفع هؤلاء الشعراء المنكوبين إلى التوق للعالم الخارجي واستيقاظ حب الحياة في نفوسهم و الشوق إلى بهجة الحياة خارج هذه القضبان التي حيلت بينهما ، حيث نجد **عبد العزيز بن الخطيب** الذي صادفه يوم المهرجان في محبسه[1] قائلا:

رَوَيْدَكَ أَيُّهَا الشَّوْقُ المَذَكِّي ... لِنَارِ صَبَابَتِي بِالْمِهْرَجَانِ

لَقَدْ أَذْكَرْتَ مِنِّي غَيْرَ نَاسٍ ... وَهَجْتُ لِي الصَّبَابَةَ غَيْرَوَانِ

أَيُوَمَ المَهْرَجَانِ أَغُدُوَ فَحَالِي ... تَرَاهَا فِي البِلَادِ كَمَا تَرَانِي

وَلَوْ لَمْ يَثْنِنِي طَبْقٌ وَقَيْدٌ ... لَرُحْتُ وَقَيْدَلِي قَضْبُ الرِّهَانِ[2]

يتبين أن شاعرنا في شوق لمشاركة الحياة بهجتها وبهائها، فهو يخاطبُ سجنَه ويشكو إليه بثه وحزنه وحرمانه فرح الحياة في يوم كيوم المهرجان.

وصفوا مأساتهم وهم يتجرعون مرارة السجون و الأسر،وحنوا إلى الأهل و الخلاّن ، كل شيئ جميل يراه السجين وهو بين القضبان يتأمل ويتحسر على الذي ولىّ وغبر ولم يبق منه إلا ذكرى لاتمّحي وفيها عتاب ولوم على الدهر الذي يتقلب ورثاء لذلك الماضي الرائح بلا عودة .

تقلب الشعراء بين الأمل و الرجاء بفرج قريب عن محنتهم ، وبين اليأس و الاستسلام للقدر المحتوم عليهم ، إذ يتجلى هذا في قدرة كل واحد منهم على تحمل الشدائد و الصبر عليها ، حيث نجد **سعيد بن جودي** الشاعر الفارس الذي أسر من **طرف عمر بن حفصون** مظهراً صبره[3] قائلا:

خَلِيلِيَّ صَبْرًا رَاحَةَ الحُرِّ فِي الصَّبْرِ ... وَلَا شَيْئَ مِثْلَ الصَّبْرِ فِي الكَرْبِ لِلْحُرِّ

وَكَمْ مِنْ أَسِيْرٍ كَانَ فِي القَيْدِ مُوْثَقٌ ... فَأَطْلَقَهُ الرَّحْمَنُ مِنْ خَلْفِ الأَسْرِ

لَئِنْ كُنْتَ مَأْخُوذًا أَسِيرًا ، وَكُنْتُمَا ... فَلِيسَ عَلَى حَرْبٍ وَلَكِنْ عَلَى غَدْرِ[4]

يرى الشاعر أن الصبر مفتاح الفرج وأن الفرج لايؤتيه إلاالرحمن ، فهذا يوحي إلى الإرادة القوية و الرضى بقضاء الله لأنه لم يُؤسر في الحرب وإنما أسر غدراً.

---

[1] ـ ينظر عبد القادر هني مظاهر التجديد في الشعر الأندلسي قبل سقوط قرطبة ص 222

[2] ـ أبي محمد بن أبي نصر فتوح بن عبد الله الأزدي الحميدي الأندلسي ، ص 456.

[3] ـ ينظر محمد سعيد محمد دراسات في الأدب الأندلسي ص 215.

[4] ـ أبي عبد الله محمد بن عبد الله أبي بكر القاضي المعروف بابن الأبار الحلة السيراء ج 2، تحقيق حسين مؤنس ، الشركة العربية للنشر والتوزيع ط1: 1963 ص 159 .

أما صبر **ابن زيدون** فإنه يتجسد في قوله :

إِنْ قَسَا الدَّهْرُ فَلَلْمَا ... ءِ مِنَ الصَّخْرِ انْبِجَاسُ

وَلَئِنْ أمْسَيتُ مَحْبُسو ... سا فَلِلْغَيْثِ احْتِبَاسُ

يلبدُ الورْدُ السَّبَنْتَـى ... ولـه بعـدُ افتراس[1]

يحاول **ابن زيدون** التخفيف من ألمه داخل السجن ، فلم يجد إلا وسيلة واحدة لرفع معنوياته هو أمله في الإفراج عنه يوماً ما مهما اشتدت وطأة الدهر عليه ، ضف إلى ذلك إكثاره من التشبيهات إذ شبه نفسه بالغيث الذي يحتبس لايطول حتى يتساقط ، وشبه نفسه أيضاً بالورد السبنتى الذي يقصد من وراءه الأسد الجرئ [2] الذي يركن وقتا ثم يهجم على فريسته ، وكأني بالشاعر يحذّر سجانيه من ما سيصدر عنه.

إذا كان صبر **ابن حفصون** مزية فيه ، **وابن زيدون** يحاول تصبير نفسه ، فإن نوعاً آخر من الصبر يوجد عند شاعر آخر ويكاد ينفرد به ، وهو لوم من سجنوه وافتخاره في الوقت ذاته قائلاً:

أَضَاعُونِي وَأَيُّ فَتًى أَضَاعُوا ... كَنَصْلِ السَّيْفِ حُذَّارٍ حُسَامُ

أَضَاعُونِي وَأَيُّ فتىً أَضَاعُوا ... لِيَوْمٍ يُرْتَجَى فِيهِ الْجَهَامُ

بَعِيدُ الْهَزْمِ أَرْوَعُ هَزْبَرِيٌّ ... سَلِيلُ الْمُلْكِ مِقْدَامٌ عُرَامُ[3]

يبدو أن الشاعر يقوم بتعداد كل الصفات التي لاتوجد إلا في العظماء والأكابر كالشجاعة والإقدام ، وشرف الأصل ، فهو يرى أنه من المحزن أن يضيِّعُوا فتى مثله يحوي كل الفضائل ويُرمى به في غياهب السجن.

فعلى هذا يلجأ الشعراء المسجونين إلى التماس أية وسيلة لتصبير أنفسهم من شدة الوطأة عليهم.

ضاقت الحال بشعراء السجون وطال أمدهم في ذلك المكان الضيق الغريب ، فلم يجدوا أية وسيلة تفك أسرهم سوى الاستعطاف والاعتذار عما تورطوا فيه من إساءة كالهجاء أو ما نُسب إليهم زوراً وبهتانا بحق ملك أوذي سلطان بباعث الوشاية أو الغيرة أو الحسد[4] ، وهناك بعض الشعراء من لجأوا إلى طريقة أخرى وهي معاتبة سجانيهم بإعادة حسن المراجعة أو العفو عن خطأ أُرتكب أو عدم تصديق أخبار الوشاة التي لاأساس لها من الصحة [5] كقول **ابن زيدون** معاتبا **ابن جهور**:

مَا لِلذُّنُوبِ الَّتِي جَانِي كَبَائِرُهَا ... غَيْرِي يُحَمِّلُنِي أَوْزَارَهَا وِزْرِي؟

---

[1] - ديوان ابن زيدون تحقيق حنا الفاخوري ص 148.

[2] - ينظر المصدر نفسه ص148.

[3] - محمد سعيد محمد دراسات في الأدب الأندلسي ص216.

[4] - عبد العزيز عتيق الأدب العربي في الأندلس ص 230.

[5] - المرجع السابق ص 214.

مَنْ لَمْ أَزَلْ ، مِنْ تَأْنِيه، عَلَى ثِقَةٍ وَلَمْ أَبُتْ ، مِنْ تَجَنِّيهِ ، عَلَى حَذَرِ

ذُو الشِّيمةِ الرِّسْلِ، إنْ هِيجْتَ حِفيظَتُهُ وَالجَانِبِ السَّهْلِ ، وَ المُسْتَعْتَبِ اليُسُرِ

مَنْ فِيه لِلْمُجْتَلَى وَ المُبْتَلَى نَسَقَا جَمَالَ مَرْأَى عَلِيْهِ سَرْوُ مُخْتَبَرِ[1]

بتوجه الشاعر بلوم **أبي الحزم بن جهور** طالبا منه المغفرة و العفو ويذكره بعلاقته الحميمية التى تربطهما ، فكيف يحمله أخطاء لم يرتكبها ويترك الجناة الحقيقين طلقاء وهو يدفع ثمن جريمتهم ، حيث زيَّن **ابن زيدون** أبياته بصفات حميدة كحسن الأخلاق وقلة الغضب ، سهل الرضى ، سريع الصفح ، هذا علاوة على منظره الجميل ونفسه الأبية ...الخ

فالشاعر كان على أمل أن يعفو عنه ويخرجه من سجنه كون من يتمتع بهذه الصفات لا يصغي إلى أقوال الوشاة ويظلم الأبرياء[2] .

لقد دارت جل أشعار السجن على ترقق الشاعر في الاحتجاج عن براءته مما نُسِبَ إليه واستمالة قلب المستعطف و التذكير بسالف ولائه أو خدماته ووصف ما يعانيه في سجنه من ضروب الإعنات و الحرمان[3] ، إذ نجد بعض الشعراء ينجحون في كسب رضى حكامهم ويسعفهم الحظ في الإعفاء عنهم ، كالذي حدث مع **أبي مروان الجزيري** الذي استعطف المنصور فعفا عنه واتبع العفو بإحسان في أبيات يقول فيها:

عَجِبْتُ مِنْ عَفْوِ أَبِي عَامِرٍ لَابُدَّ أَنْ تَتْبَعَهُ مِنَّهْ

كَذَلِكَ اللهُ إِذَا عَفَا عَنْ عَبْدِهِ أَدْخَلَهُ الجَنَّهْ[4]

فاستحسن المنصور منه ذلك وصرفه ، غير أن الأبيات جاءت مبالغة وكفر بالله حين شبه عفو المنصور بعفو الرحمن .

- أما استعطاف **أبو عامر بن شهيد** في مديح **يحيى بن علي بن حمود** الذي صفح عنه في قوله:

قَرِيْبٌ بِمُخْتَلِّ الهَوَانِ بَعِيْدُ يَجُودُ وَيَشْكُو حُزْنَهُ فَيُجِيدُ

نَعَمْ ضُرِّه عِنْدَ الإِمَامِ فَنَالَهُ عَدُوٌّ لِأَبْنَاءِ الكِرَامِ حَسُودُ[5]

[1] – ديوان ابن زيدون تحقيق حنا الفاخوري ، ص 215 .
[2] – ينظر محمد سعيد محمد دراسات في الأدب الأندلسي ، ص 215 .
[3] – عبد العزيز عتيق الأدب العربي في الأندلس ، ص 230 .
[4] – ابن سعيد المغربي المغرب في حلى المغرب ج 1 ، تحقيق شوقي ضيف ، دار المعارف ط1 (د ، ت) ، ص 321 .
[5] – ديوان ابن شهيد الأندلسي ورسائله جمعه وحققه وشرحه محي الدين ديب ص 63 .

إن أمثال هؤلاء الشعراء وغيرهم قد أسعفتهم قوة البيان ونصاعة الحجة على الإقناع في استدار عطف حكامهم ، فغفرت زلاتهم وأطلق سراحهم .[1]

أما **عثمان بن جعفر المصحفي** الذي قبع في سجنه بالرغم من كل المحاولات التي استعطف بها **المنصور بن أبي عامر** لنيل شفاعته استعطاف العبد الذليل بصوت شجي غير معهود في شعره [2] قائلا :

عَفَا اللَّهُ عَنْكَ أَلَا رَحْمَةً ... تَجُودُ بِعَفْوِكَ إِنْ أَبْعَدَا

لَئِنْ جُلَّ ذَنْبٌ وَلَمْ أَعْتَمِدْهُ ... فَأَنْتَ أَجَلُّ وَأَعْلَى يَدا

أَلَمْ تَرَ عَبْدًا عَدا طَوْرَهُ ... وَمَوْلًى عَفَا وَرَشِيْدًا هَدَى

أَقِلْنِي أَقَالَكَ مَنْ لَمْ يَزَلْ ... يُقِيْكَ وَيَصْرِفُ عَنْكَ الرَّدَى [3]

نستشف من خلال نظم **المصحفي** إنه أشد الناس حزنا وأسىً عندما سجن ، ومرجع ألمه هو المفارقة الشديدة بين إشراقة أمسه الدابر وظلام حاضره القائمي جراء نكبته ومأساته المروعة [4] .

وعلى الرغم من كل هذا الاستشفاع والتذلل لم ينل عفو **أبي عامر** ولا رضاه حتى خرج الشاعر وأمثاله من خلال تجربتهم إن الزمان يومان : يوم لك ويوم عليك وان الاستسلام لقضاء الله وقدره لا رجعة فيهم بعدما تعمق البؤس نفوسهم وذاقوا مرارة الذل والمهانة وأيقنوا أن لاعفوا من سجانيهم ، فراحوا يستخلصون من تجاربهم القاسية حكما ومواعظ كالتي نجدها في أبيات **المصحفي** قائلا :

لَاتَأْمَنَنَّ مِنَ الزَّمَانِ تَقَلُّبًا ... إِنَّ الزَّمَانَ بِأَهْلِهِ يَتَقَلَّبُ

وَلَقَدْ أَرَانِي وَاللُّيُوثُ تَخَافُنِي ... وَأَخَافَنِي مَنْ بَعْدَ ذَاكَ الثَّعْلَبُ

حَسْبُ الكَرِيْمِ مَذَلَّةً وَمَهَانَةً ... أَلَا يَزَالُ إِلَى لَئِيْمٍ يَطْلُبُ

وَإِذَا أَتَتْ أُعْجُوبَةٌ فَأُصِبْرَلَها ... فَالدَّهْرُ يَأْتِي بَعْدَمَا هُوَ أَعْجَبُ [5]

يبدو أن الشاعر ينعت زمانه أنه زمن التقلب من حال إلى حال فقبل أن يصل **المنصور بن أبي عامر** إلى السلطة كان **المصحفي** الرجل الثاني في دولة الحكم المستنصر ، وهاهو الآن في ظل حاكم جديد مرمي به في السجن بعدما كان مخافة للناس صار يخاف من **المنصور** [6] .

---

[1] - ينظر عبد العزيز عتيق الأدب العربي في الأندلس ص 230
[2] - ينظر عبد القادر هني ومظاهر التجديد في الشعر الأندلسي قبل سقوط قرطبة ص 219
[3] - إحسان عباس تاريخ الأدب الأندلسي عصر سيادة قرطبة ص 101
[4] - ينظر المرجع السابق ص 220
[5] - أبي الحسن علي بن بسام الشنتريني الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة مج 1 ، ق 4 ، ص 69
[6] - ينظر محمد سعيد محمد دراسات في الأدب الأندلسي ص 223

أما تجربة **أبا مروان الجزيري** فقد أنطقته بحكم تعليمية وجهها إلى بنيه قائلا فيها :

وَاحْزُنْ لِسَانَكَ وَاحْتَرِسْ مِنْ نُطْقِهِ وَاحْذَرْ بَوَادِرَ غَيِّـهِ ثُمَّ احْـذَرِ

وَاصْفَحْ عَنِ العَوْرَاءِ إِنْ قِيْلَتْ وَعُدْ بِالحِلْمِ مِنْكَ عَلَى السَّفِيْهِ المِعْوَرِ[1]

إن في عرض هذه الأمثلة إيحاءات في نبرة الشعراء جراء تأثير السجن الذي أرهـف عواطفهم وطغى عليها طابع الحزن والأسى من أوضاع السجون وغلق الأبواب من كل جهة جراء دسائس وسياسة كانوا من ضحاياها ، فكانت نفوس الشعراء مكلولة والأجنحة مكسورة ، لذا خرجت هذه العواطف الملتهبة زفرات حرى أيقظها السجن في حياة شعراء الأندلس .

وكان إلى جانب الحزن العميق والتشوق إلى الانطلاق والبكاء على الحياة نجد تعميـق المشاعر بالحياة وقيمتها مع شيء من نغمة زهدية وفلسفة مستمدة من القلق والحيرة ، وقـد نجد أن الصبر أقوى من الثورة في هذا الشعر وان الاستشفاع المتذلل اشـبع مـن العزيمـة العزيزة وان الجزع من الموت أقوى من القدرة على استقباله ، وكل هذا يشير إلى صـورة حزينة قلقة باكية .[2]

وعلى هذا جاء شعر السجون في الأدب الأندلسي المرآة العاكـسة لكـل عـصر مـن عصوره وصور تلك السجون وأثرها في حياة الأندلسيين كما في سجون **المعتمد بـن عبـاد** وأثرها على حياته الاجتماعية والأدبية وهذا ما سيأتي ذكره فيما يلي .

[1] – إحسان عباس تاريخ الأدب الأندلسي عصر سيادة قرطبة ص 101

[2] - المرجع نفسه ص 101

الفصل الثاني

أغماتيات المعتمد بن عباد

الفصل الثاني : أغماتيات المعتمد بن عباد

I - الحياة الإجتماعية للمعتمد بن عباد :

المعتمد بن عباد هو الأمير الثالث و الأخير للدولة العبادية **بإشبيلية** دولة أسسها **القاضي أبو القاسم محمد بن عباد** سنة 414 هـ الموافق لـ 1023 م وبعد وفاة هذا الأخير خلفه ابنه الملقب **بالمعتضد بالله** سنة 433 هـ ، 1042 م فكان أميراً طموحاً وذكياً في نفس الوقت فانتهج سياسة كانت الغاية منها تعزيز مملكته وتوسيعها على حساب جيرانه بجميع الوسائل[1] ، فاشتهر بقساوته الشديدة واستطاع أن يفرض نفسه كطاغية يطاعُ ويحترم عن خوف على المستوى الداخلي و الخارجي فكانت سياسته تستهدف إبادة كل من كان خطراً على سياسته[2] ، وكل من وقف في طريقه معارضاً مشاريعه مهما كان وأينما كان ، وهكذا لم ينجُ من تصفياته حتى ابنه **إسماعيل** الذي ولاّه على **إشبيلية** فسعى أن يستقل بها ويصبح أميراً عليها ، الأمر الذي اعتبره **المعتضد** خيانة فأمر بقتله . وعندئذٍ قام مقامه **المعتمد** أخوه سنة 1063/455 م[3] وكان حينها يبلغ الثالثة عشر من العمر[4] . حين جعله والده والياً على مدينة **شلب** وحاكما على **إقليم الجوف البرتغالي** كله[5] . ويمكن أن تقسم حياة هذا الأخير إلى ثلاثة مراحل.

1- المرحلة الأولى : طفولته وشبابه: كانت ولادة **المعتمد على الله محمد بن عبد الملك المعتضد بالله عباد بن القاضي أبي القاسم محمد بن عباد** في ربيع الأولى سنة (431 هـ - 1040م)[6]. بمدينة **باجة** غرْبي الأندلس ، فنشأ في بيت ملك وشبَّ على رخاء العيش وحب المغامرة ، فكان للتقدم الإجتماعي و التطور الإقتصادي دور كبير في إعطاء خصوصيات ذات طابع مميز لحياة المعتمد[7] ، حيث عرك الحياةالسياسية و العسكرية و الأدبية بعمق فكان أديباً وشاعراً مبرزاً[8] ، وهذا لما تلقاه في بلاط أبيه "**المعتضد** " كونه ملك فهو مقصد رجال العلم و الأدب .

---

[1] – حمدان حجاجي محاضرات في الشعر الأندلسي في عصر الطوائف ، ص 37 .
[2] – رحيم رثاء النفس في الشعر الأندلسي ، ص 208 .
[3] – المرجع السابق ص 38/37 .
[4] – عمر فروخ تاريخ الأدب العربي ، ج4 ، ص 713 .
[5] – حنا الفاخوري الموجز في الأدب العربي وتاريخه ج3 ، ص 220 .
[6] – الضبي بغية الملتمس في تاريخ رجال الأندلس مج14 ، ج1 ، دار الكتب المصرية القاهرة ن (د ، ط) ، (د ، ت) ، ص 155 .
[7] – ينظر بسام العسلي مشاهير قادة الإسلام – المعتمد – وابن تاشفين ، دار النفائس ، بيروت ، ط3 1985 ،ج 15 ، ص 113 .
[8] – رحيم مقداد المرجع السابق ، ص 210 .

وتخرج **المعتمد** على يد أشهر العلماء و الفقهاء و الأدباء فكان فارساً وإدارياً وشاعراً ، حمل أعباء الحكم بعد وفاة والده [1]، فكان المعتمد هذا يشبه **بهارون الواثق بالله** من ملوك بني العباس ، وكان مقتصراً من العلوم على الأدب وما يتعلق به وينضمُّ إليه ، وكان فيه مع هذا من الفضائل الذاتية مالا يحصى ، كالشجاعة و السخاء و الحياء والنزاهة إلى ماياسب هذه الأخلاق الشريفة ، وفي الجملة فلا أعلم خصلة تُحمد في الرجل إلا وقد وهبه الله منها أوفر قسم ، وضرب له فيها بأوفى سهم وإذا عُدَّت حسنات الأندلس من لدن فتحها إلى هذا الوقت ، فالمعتمد هذا أحدُها بل أكبرها[2] .

ونجد **المعتمد** قد تحمل مسؤوليات سياسية وعسكرية من خلال توليه الحكم وعمره لم يتجاوز إثنا عشر سنة ، هذا قد لايتفق مع طبيعته الفنية وتكوينه الأدبي.

فقد قال فيه "**ابن بسام** ثم استو قف الأمر بعد المعتضد لابنه المعتمد ، وكان مع اشتغاله بالحروب ، وسعة مجاله بين الطعن و الضرب ، وعلى أنَّ أباه عبَّاداً ما أنفكَّ يديرُ عليه الرحى ، ويفرغُ عليه كلما قرعت عصاً عصا ، حتى صار أسوة لنجوم ليلها وجلساً لمتون خليها. فقد كان مستمسكاً من الأدب بسبب ، وضاربا في العلم بسهم وله شعر كما انشقَّ الكمام عن الزَّهر ، لوصدر مثله عمن جعل الشعرصناعة واتخذه بضاعة، لكان رائعاً معجبا ً ونادراً مستغرباً فما ظنك برجلٍ لايُجِدُّ إلا راثيا ، ولايُجيدُ إلا عابثا ، وهو مع ذلك يرمي فيُصيبُ ويهمي فيصوب، وشعره يُوضحُ ماشرح ويعبر عما ذكر"[3] .

فكانت حياته الأولى يغمرها مجالس الأنس ، خمر ونساء ومجالس أنس وأدب ، وحرب أحياناً ، فكان هذا قبل أن يتولى الملك[4] .فما ميز أن حادثين هامين تماً أثناء إقامته **بشلب** وكان لهما الأثر الأكبر على حياة المعتمد : أولهما **الوزير بن عمار** و ثانيهما **إعتماد الرميكية**زوجته.

1) **الوزير أبو بكر بن عمار** : وهو الذي كان على اتصال بالمعتمد ، وهومن أصل وضيع جداً لايملك ما يسدُّ رمقه فرأى أن يتخذ الشعر وسيلة للعيش ، فنظم القصائد في مدح هذا أوذاك متجولا من بلاط إلى بلاط لعله ينال لدى الأقوياء ما يساعده على تحسين وضعيته الإجتماعية فمدح **المعتضد بالله** ، فاستماله وأثر عليه فقربه هذا الأخير وأجزل له العطاء[5] ، ومن ثمّ تعرف المعتمد عليه فلازمه **بشلب** لِمَا وجده في صحبة الشاعر من نظم رائق وموسيقى عذبة إلى جانب الميول إلى تعاطي الملاذ بمختلف أنواعها ، فكان الرفيقان يقضيان أوقاتهما في مجالس الأنس داخل القصور الفاخرة بين الجواري و الغلمان و المطربين و المطربات و الراقصين و الراقصات و كؤوس الخمر المترعة كؤوس يدرها الساقون والساقيات عليهما وعلى الندماء الحاضرين، وتوالت الأيام على هذا المنوال إلى أن أعَادَ **المُعْتَضِدُ** إبْنه إلى **إشبيلية** سنة 455هـ 1063 م بعدما عينه ولي عهده خلفا لأخيه المنكوب كما سبق ذكره.

---

[1]- ينظر رضوان الداية في الأدب الأندلسي ، دار الفكر المعاصر ، بيروت لبنان ط 1 : 2000 ص 151.

[2] - عبد الواحد المراكش المعجب في تاريخ المغرب (من لدن فتح الأندلس إلى آخر عصر الموحدين).تحقيق محمد سعيد العريان (د،ط) ، (د،ت) ص 158.

[3] - أبي الحسن على بن بسام الشنتريني الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة تحقيق إحسان عباس ق2، مج 1 ، دار الغرب الاسلامي ،بيروت ،(د ـط) (د،ت) ص42/41.

[4] - أحمد أمين ظهر الإسلام ص 490.

[5] - حمدان حجاجي محاضرات في الشعر الأندلسي في عصر الطوائف ص38.

2) زواج المعتمد باعتماد الرميكية: وكان هذا في ظروف غير عادية ، فالمعتمد في دوره الجديد **بإشبيلية** وفي جوار أبيه لم يغير سلوكه في الحياة ، لإلتحاق ابن عمار به ، وبينما هما يتوجهان في تستر إلى " **مرج الفضة** " بضفة الوادي الكبير حيث يأتي الجمهور رجالاً ونساءً للإستجمام و النزهة ، وبهذا المكان إلتقى **المعتمد بن عباد** وللمرة الأولى بمن ستصبح زوجة له[1] ، فخطر على بال ابن عباد شطر بيت وهو:

صَنَع الماءُ من الرِّيح زَرَدْ.....

ثم أرْتج عليه فلم يستطع إكماله ، فقال لإبن عمار : أجزْ فأرتج عليه أيضاً ، فسمع جارية وراءه تقول:

.....أي دِرْعٍ لِقِتَالٍ لَوْجَمَدْ[2]

فكانت الجارية قد أجازته على البديهة وهي تغسل في النهر فالتفت وراءه فإذا هي بفتاة أعجب بجمالها وبحسن بديهتها و ذكائها ، فلم يلبث أن تعرف إليها ثم سارع بالزواج بها[3] حتى قال عنه **ابن سعيد** في بعض مصنفاته : كثير ماكان المعتمد يأنس بها ، ويستظرف نوادرها ، ولم تكن لها معرفة بالغناء ، وإنما كانت مليحة الوجه ، حسنة الحديث ، حلوة النادرة ، كثيرة الفكاهة ، لها في ذلك نوادر محكية[4] .

أحبها المعتمد بحيث شغلت جزءاً كبيراً من حياته ، فشاركته في نعيمه وبؤسه ، ويحكون أنه رغبت مرة أن تسير في طين كعادتها قديما، فعمل لها ابن عباد وحْلاً من مسك وعنبر وكافور تدليلا لها ، فلما غضبت مرة كعادة النساء أيام بؤسه والتي سنتاولها فيما بعد ، قالت له " **لم أر منك يوم سرور** " ردَّ عليها وقال " ولا يوم الطين" فخجلت وسكتت[5].

لقد سجل التاريخ أن هذه السيدة كانت مع زوجها الرفيق المساعد و الحبيبة الملهمة لزوجها ، والزوجة الفاضلة و الأم الواعية و المشاركة في الرأي و التدبير ، إذ أدت مهمة كبيرة في تنظيم قصر الإمارة في إشبيلية مع زوجها وشاركته الرأي في مسائل مختلفة كثيرة.

فعُرِفَتْ " إعتماد " برجاحة الرأي وقوة الحجة و الشخصية ، كما اشتهرت في الكتب التي تحدثت عنها بالشعر ، على أن الذي وصل إلينا من شعرها قليل جداً. إذْ انتقلت موهبة الشعر من الأب الأمير " المعتمد " ومن الأم "إعتماد" إلى بعض الأبناء ، فهكذا كانت حياة المعتمد في هذه الفترة التي تميزت بالفرح و السرور و الترف و النعيم[6] .

---

[1] – حمدان حجاجي محاضرات في الشعر الأندلسي في عصر الطوائف ، ص 39 .

[2] – محمد رضوان الداية أندلسيات شامية وبحوث أخرى ، دار الفكر : دمشق ، سوريا ، ط1 : 2000 ، ص 192 .

[3] – أحمد أمين ظهر الإسلام ، ص 490 .

[4] – محمد بن محمد المقري التلمساني نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، مج 4 ، ص 272 .

[5] – المرجع السابق ، ص 490 .

[6] – محمد رضوان الداية المرجع السابق ، ص 193 .

2- المرحلة الثانية : توليه الحكم .

مما زاد في ترف ونعيم المعتمد وعظمته ومسؤوليته حين صار ملكه متسعاً بحيث شمل قرطبة وجعل عليها ولده الحاجب سراج الدولة ، ثم كانت له وعليه خطوب وحروب ، وفرق أبنائه على قواعد الملك وأنزلهم بها.

واستفحل أمره بغرب الأندلس، وعلتْ يده على من كان هناك من ملوك الطوائف ، مثل **ابن حبوس** بغرناطة **وابن الأفطس ببطليوس** ، **وابن صمادح** بالمريَّة وغيرهم [1]، فقد وصف"**الفتح بن خاقان** "حياة هذا الملك الشاعر في كتابه " **قلائد العقيان**" فذكر ماكان عليه من النعمة و الرفعة قبل نكبته ، وكيف كانت حضرته مسرحاً لآمال الطلاب المعروف ولواؤه جامعاً لمشاهر الفرسان . ولياليه مجالس زاهرة باللهو والشراب ومطارحة الأدباء و الشعراء فقد أكثر الشعراء الذين اتصلوا به من مديحه ، وبالغوا في تعداد مناقبه وصفاته.

بحيث صار مقصد الناس من كل فج ، حتى أنهم قالوا " أنه لم يقف بباب أحد من الشعراء ما وقف ببابه" [2] ، فكان شاعراً عبقريا ينظم الشعر ، وقد حاول أن يجعل حياته كلها قصيدة من قصائد الشعر المترف ، وأن يجعل بلاطه مؤئل الشعراء ، وقد أنضم إليه شعراء الأندلس وأفريقية وصقلية ولا سيما عندما غزا النورمان بلادهم واستولوا على بعضها ، وكان المعتمد رجل حرب افتتح المدائن ودكَّ الحصون[3].

لكن عدا عليه الزمان الذي لايرحم ، فجاءت فترة قوي فيها ملك الإسبان، حتى وضع الجزية على **ابن عباد** [4]. بعد ما سارع هذا الأخير إلى عقد التحالف مع **ألفونسو السادس** قبل أن يسبقه أعداؤه إلى إبرام الحلف معه ، وكانت تنص هذه المعاهدة على أن يعاون الملك القشتالي ملك إشبيلية ضد كل أعدائه من المسلمين[5]، وأن يلتزم المعتمد بشيئين:

دفع مبالغ كثيرة من المال للملك المسيحي ، وعدم الاعتراض على احتلال مدينة **طليطلة** [6] . فرفض أن يأخذ الجزية وأرسل رسولاً إليه ، فضرب ابن عباد الرسول وقتل من معه ، وقال كلمته المشهورة : " **لأن أكون راعي جمل عند يوسف بن تاشفين ، خير من أكون قائداً كبيراً عند الأذفونش** ، إي **ألفونسو** فأحس الناس في ذلك الوقت الخطر الداهم عليهممن الإسبانيين ، حتى قال قائلهم :

حُثُّوا رَوَاحِلَكُمْ يَاأَهْلَ أَنْدَلُسٍ ... فَمَا المُقَامُ بِهَا إِلاَّ مِنَ الغَلَطِ

لسِلْكُ يُنْثَرُ مِنْ أَطْرَافِهِ وَأَرَى ... سِلْكَ الجَزِيْرَةَ مَنْثُورٌ مِنَ الوَسَطِ

مَنْ جَاوَرَ الشَّرَّ لَمْ يَأْمَنْ عَوَاقِبَهُ ... كَيْفَ الحَيَاةُ مَعَ الحَيَّاتِ فِي سَفَطِ[7]

وهكذا اتفق ملوك الطوائف على تأليف الوفد الذي يذهب إلى أبي يعقوب يوسف بن تاشفين ليقنعه بضرورة العبور السريع إلى الجزيرة المهددة ، فقبل يوسف بن تاشفين مبدأ

---

[1] – ينظر محمد بن محمد المقري التلمساني نفح الطيب مج4 ص438

[2] – بطرس البستاني أدباء العرب في الأندلس وعصر الانبعاث ص 149/148.

[3] – حنا الفاخوري الموجز في الأدب العربي وتاريخه و الأدب في الأندلس و المغرب أدب الانحطاط ،ج3 ،ص221.

[4] – أحمد أمين ظهر الإسلام ص 491.

[5] – علي بن محمد النثر الأندلسي في القرن الخامس " مضامينه وأشكاله ، ج1 ، دار الغرب الإسلامي : بيروت لبنان ط1 1990 ،ص62.

[6] – المرجع نفسه ص62 .

[7] – أحمد أمين المرجع السابق ص 491.

العبور ، وشرط أن تسلم له الجزيرة الخضراء ليتخذ منها قاعدة أمنية لانسحاب جيوشه عند الضرورة وأشترط الوفد الأندلسي عليه أن لايعزل ملوك الأندلس ، وتمَّ التفاهم والتراضي[1] .

فأجاز معه البحر والتقوا مع الطاغية في **الزلاقة**، فكانت الهزيمة المشهورة على النصارى ونصر الله تعالى الإسلام نصراً لا كفاء له[2] .

وكان ذلك في سنة 479هـ واتُخذ هذا عاماً مشهوراً يؤرخون به فيقولون " **عام الزلاقة** "[3]

فصبر فيها المعتمد صبراً لايُضاهى به وأصابته الجراح في وجهه ويده حتى قال فيه **أبو بكر بن عبادة المرِّي**:

وَقَالُوا كَفُّهُ جُرِحَتْ فَقُلْنَا أُعَادِيهِ تُوَاقِعُهَا الجِرَاحُ
وَمَا لِمُرْتَدِّ الجِرَاحَةِ مَارَأَيْتُمْ فَتُوهِنُهَا المَنَاصِلُ وَ الرِّمَاحُ[4]

وكان من المعتقد أن يرحل ابن تاشفين عن الأندلس نهائياً بعد انتصاره ويعود إلى بلاده ، فكانت أطماعه في إمارات الأندلس من جهة بدوره بدءاً بغرناطة فقرطبة فرندة ثم إشبيلية[5] ، واستجابته لطلب الفقهاء وأهل الحل و العقد بالأندلس لرفع المكوس و الظلامات عنهم فتقدم بذلك ، إلى ملوك الطوائف فأجابوه بالإمتثال ، حتى إذا رجع من بلادهم رجعوا إلى حالهم[6] ، ويبدو أن ملوك الطوائف لم يحافظوا على ذلك الانتصار لانقسامهم وتشتتهم من جهة وعودتهم إلى الانغماس في اللهو و الملذات مرة أخرى[7] .

فكانت عودة ابن تا شفين واضحة الهدف وهو إزالة ملوك الطوائف للحفاظ على مدن الأندلس ، خصوصاً المعتمد **بن عباد** كبير ملوك الأندلس.

---

[1] - علي بن محمد النثر الأندلسي في القرن الخامس ، ص 64 .
[2] - محمد بن محمد النقري التلمساني نفح الطيب مج 1 ، ص 438 .
[3] - ينظر المرجع السابق ، ص 65 .
[4] - لسان الدين الخطيب الإحاطة في أخبار غرناطة مج 2 ، مكتبة الخانجي بالقاهرة ، ط1 : 1974م ، ص 111 .
[5] - ينظر فاروق شوشة المعتمد بن عباد ، كتاب العربي مج 325 ، العدد 58 ، 15 أكتوبر 2004 ، ص 110 .
[6] - محمد بن محمد النقري التلمساني المرجع السابق مج 1 ، ص 438 .
[7] - ماضي الخميس شاعر الملوك وملوك الشعراء ، كتاب العربي الفصلي مج 1 ، العدد 35 ، 15 يناير 1999 ، ص 171 .

المرحلة الثالثة :قتال المعتمد بن عباد :

دخل المرابطون **إشبيلية** عنوة بعد قتال مرير قاد فيه **المعتمد** جيشه بنفسه فاحتلوها في رجب من عام 484هـ[1] ، بحيث اضطربت إشبيلية اضطراباً خرج الناس معه من منازلهم ، وبعضهم ألقى بنفسه في البحر وشنت الغارة في البلاد ، ولم يترك البربر لأحد من أهلها ثبداً ولا لبداً ، و انتهبت قصور **المعتمد** نهباً قبيحاً[2] ، فقد تمكن **يوسف بن تاشفين** من التغلب عليه وخلعه عن ملكه وحمله أسيراً إلى **أغمات** قبضاً من اليد ومعه من كان في القصر **بإشبيلية** من أسرته وفيهم زوجته " إعتماد الرميكية " وعدد من أولاده[3] .

وكان للمعتمد ولدان : **المعتد بالله** ، **والراضي بالله** ، وكانا بمعقّلين من معاقل الأندلس المشهُورة ، لو شاء أن يمتنعا بهما ، لم يصل أحد إليهما ، فضُيِّقَ على **المعتمد** وأُثقِل بالحديد ، ليكتب لابنيه بأن يسلّما، فلما أكثر أبوهما من ذلك استسلما ثم قتلا غيلة[4] .

وهذا مازاد في لوعته وألمه وحسرته على نفسه وعلى ولديه وهو يرى في نفسه من بعد العز الذل الذي لا أمل له في استرجاع ملكه وقصوره فكانت هذه هي نهاية الملك الذي ذل بعد ما نُقل من **إشبيلية** إلى **طنجة** ومنها إلى مدينة **مكناس** ليصل به الأمر إلى **أغمات** بالقرب من مدينة **مراكش** حيث ظل بها وأفنى أخر أيامه فيها[5] يكابد أيام الزمان.

فكانت وفاة المعتمد على الله **بأغمات** ربيع الأول سنة ثمان وثمانين وأربعمائة ، بعد أن تقدمت وفاته وفاة الحرة **إعتماد** ، وجزع إليها جزعاً ، أقرب سرعة لحاقه بها[6] ، ويقال أن ابنه **عبد الجبار** قد توفي بأيام قليلة قبل أمه ثم لحقه الوالد هو الآخر[7] ، وبهذا انطوى صفحة الملك الكبير الذي شهد نهاية تهز لها الأبدان و تجزع لها القلوب وصار عبرة لمن يعتبر ، ولكن فتحت صفحات أخرى سجل التاريخ أحداثها عن طريق نظمه وإبداعه وتحفه الأدبية النادر.

---

[1] – علي بن محمد النثر الأندلسي في القرن الخامس ، ص 67 .
[2] ـ أحمد أمين ظهر الإسلام ، ص 492 .
[3] ـ محمد رضوان الداية في الأدب الأندلسي ، ص 152 .
[4] ـ المرجع السابق ، 492 .
[5] ـ شوقي ضيف عصر الدول والإمارات ــ الأندلس ، دار المعارف ، ط2 (د ، ت) ، ص 340 .
[6] ـ لسان الدين الخطيب الإحاطة في أخبار غرناطة مج 2 ، ص 119 .
[7] ـ ينظر عمر فروخ تاريخ الأدب العربي ج4 ، ص 715 .

II- الحياة الأدبية للمعتمد بن عباد :

لقد ذكروا عن إشبيلية أنها : " من أحسن مدن الدنيا وبأهلها يضرب المثل في الخلاعة وانتهاز فرصة الزمان الساعة بعد الساعة" [1].

يبدو أن إشبيلية كانت حاضرة الأدباء و الشعراء خصوصاً وأن ملكها **المعتمد بن عباد** الذي أضحى إنتاجه الشعري مرآة عاكسة لمراحل حياته ، فشعره جاء على شكلين مختلفين : الشكل الأول متمثل فيما نُظم قبل المنفى و الشكل الثاني المتمثل فيما نُظم خلال المنفى ، أي أن ابن عباد شاعر الترف و الرخاء قبل أسره ، وشاعر الألم والذكرى بعده . فالمعتمد إذاً سيد السيف و القلم [2].

أ ــ شعره قبل المنفى : سبق أن رأينا المعتمد وقتما كان **بشلب** ولياً ثم **بإشبيلية** أميراً لايعرف من الحياة إلا ما يستميله ويرضيه من رفاهية ورغد عيش متعاطياً بلا مبالاة اللهو ومختلف الملاذ [3] ، فكان شعره مترف أنيق يميل إلى التكلف و الصناعة ويدور حول المدح و الحماسة... والغزل و العتاب و الرثاء ، وبرز بروزاً واضحاً في وصف مجالس السرور ووصف المعارك [4] .

فكان الشعرإلى جانب الغناء و الرقص من المنشطات التي بها يتم إحياء سهرات مجالس الأنس وسط طبيعة غناء أو داخل قصور فاخرة ، إذ كان المعتمد يرى في قرضه للشعر نوعاً من اللهو يثير طربه و طرب جلساته [5]. حيث نجده يصف مجالس لهوه وشرابه ــ موضوع الخمريات في شعره ــ قائلاً :

وَلَقَدْ شَرِبْتُ الرَّاحَ يَسْطَعُ نَوْرُهَا وَاللَّيْلُ قَدْ مَدَّ الظَّلَامَ رِدَاءَ
حَتَّى تَبَدَّى الْبَدْرَ فِـي جَـوْزَائِهِ مَلْكـًا تَنَاهَى بَهْجَةً وَبَهَاءَ[6]

لقد مثل شعره صورة للحياة التي عاشها في عهد الإمارة والملك ــ حياة الترف و الجلال معاً ــ فكانت حال المعتمد هذه تدفع به إلى استدعاء الشعراء وإسماعهم بعض أشعاره ما يصف به بعض أحواله . حيث وفق **المعتمد** إلى إبهار السامعين لما يجدون في مقطوعاته ذات أبيات معدودة من اثنين أو ثلاثة إلى خمسة للتجانس السليم و الموسيقى العذبة التي تبعث على نظمها ظروف معينة .

---

[1] ـ نافع عبد الله الشوق و الحنين في الشعر الأندلسي ، دار الوسام بيروت، ط1 2003 ، ص41.
[2] ـ حنا الفاخوري الموجز في الأدب العربي وتاريخه و الأدب في الأندلس و المغرب أدب الإنحطاط ،ج3 ،ص224.
[3] ـ حمدان حجاجي محاضرات في الشعر الأندلسي في عصر الطوائف ص48.
[4] ـ عمر فروخ تاريخ الأدب العربي ج4 ص715 .
[5] ـ ديوان المعتمد بن عباد تحقيق أحمد أحمد بدوي و حامد عبد المجيد ، المطبعة الأميرية بالقاهرة (د،ط) 1951 .ص14.
[6] ـ بطرس البستاني أدباء العرب في الأندلس وعصر الإنبعاث ص 149 .

وإلى جانب وصفه للمجالس نجد أن معظم شعره يدور حول المرأة بجمالها الفتان ، وحول الخمر العتيقة في الكؤوس المترّعة وحول القيان الحسان [1].

ونجد **المعتمد** في موضع كان مع بعض حظاياه فأفرغ عليها وردٍ وكانت عليها علالة رقيقة حتى التصقت ببشرتها ، وبدت محاسنها فأعجبه ذلك وراح يقول :

عُلِّقْتُ سَالِبَةَ النُّفُوسِ غَرِيرَةً تَخْتَالُ بَيْنَ أَسِنَّةٍ وَبَوَاتِرِ [2]

تعتبر هذه الأبيات صورة من ليالي الشعر والأنس التي كان **المعتمد** يحياها في عنفوان ملكه حين كانت الدنيا مقبلة عليه .

فإذا ماانتقلنا إلى موضوع آخر من شعره فنجده كثير الغزل بعدد من جواريه ولاسيما من يناديهن بجوهرة وبسحر وبأم عبيدة وبإعتماد الرميكية[3] (أم الربيع) التي أخذت نصيب الأسد من الغزل وغزله فيها غزل هادئ وحبه حب صادق [4]. حيث قال عنها:

فَتَكَتْ مُقْلَتَاهُ بِالقَلْبِ مِنِّي وَبَكَتْ مُقْلَتَايَ شَوْقاً إِلَيْهِ
فَحَكَى لَحْظَةً لَنَا سَيْفَ عَبَّا دٍ وَلَحْظِي لَهُ سَحَابَ يَدَيْهِ [5]

وكما أشرنا آنفاً أن المعتمد كان يسعى بعد توليه الحكم الإستلاء على قرطبة فكان يهدف إلى توحيد الأندلس العربية تحت رايته ، ومما هو معروف أن قرطبة كانت عاصمة الأندلس كلها فنظم في ذلك مفتخراً :

مَنْ لِلْمُلُوكِ بَشَأْوِ الأَصْيَدِ البطلِ؟! هَيْهَاتَ جَاءَتْكُمُ مَهْدِيَّةَ الدُّوَلِ
خَطَبْتُ قُرْطُبَةَ الحَسْنَاءِ إِذْ صَنَعَتْ مَنْ جَاءَ يَخْطُبُهَا بِالبِيْضِ وَالأَسَلِ [6]

وكما يبدو أن مخيلة المعتمد غزيرة في رسمه لمشاهد معهودة ، غير أن تماسكها وتكاملها وترتيبها تستوقف القارئ لما تكتسيه من طرافة[7].

وبدوره لم يحس الألم و الشقاء وهو في عز ملكه ، فجاءت أشعاره كلها في وصف الطبيعة و الخمر و الملاهي ، وبدت أوصافه في أكثرها مادية تغلب عليها الشهوة وتشيع الصنعة فيها ولاتخلو من التكلف.

فغياب الألم والحزن في أشعاره في هذه المرحلة يعود إلى عدم تذوقه الهجران و الفراق إلا ما كان في أبيات قليلة لاتعبر عن وجدان عميق ، وإنما هي ذكرى جفوة حبيب [8] إذ يقول :

أَيَا نَفْسُ لَاتَجْزَعِي وَاصْبِرِي وَإِلَّا فَإِنَّ الهَوَى مُتْلِفُ [9]

---

[1] ـ حمدان حجاجي، محاضرات في الشعر الأندلسي في عصر الطوائف، ص49

[2] ـ إبراهيم بن مراد مختارات من الشعر المغربي و الأندلسي ، دار الغرب الإسلامي بيروت لبنان ، ط1 : 1986، ص146.

[3] ـ حمدان حجاجي محاضرات في الشعر الأندلسي في عصر الطوائف ص49.

[4] ـ أحمد أمين ظهر الإسلام ص 494.

[5] ـ ديوان المعتمد بن عباد تحقيق أحمد بدوي وحامد عبد المجيد ص27

[6] ـ المصدر نفسه ص 15.

[7] ـ حمدان حجاجي المرجع السابق ص 50.

[8] ـ بطرس البستاني أدباء العرب في الأندلس وعصر الإنبعاث ص 149.

[9] ـ ديوان المعتمد المصدر السابق ص21.

أضف إلى هذه المقطوعات القصيرة" الخفيفة" التي كان **المعتمد** يستهدف بها المتعة و الطرب وقضاء الوقت على أحسن مايرام ، ولهذا نجد قصيدتين نسبياً من طراز آخر مخالف تماماً ، إذْ تتسمان بالجدية لطبيعة الموضوع، فأولهما الرائية التي وجهها شاعرنا إلى أبيه يستعطفه عندما فشل في المهمة التي أوكلها إليه في الاستيلاء على بعض الحصون راجيا منه أن يعفو عنه بعد هذه الهزيمة ، وقد سبق ذكر هذا. حيث راح يقول:

سَكِّنْ فُؤَادَكَ لَاتَذْهَبْ بِكَ الفِكَـرُ مَـاذَا يُعِيـدُ عَلِيـكَ البَـثُّ وَالـحَـذَرُ ؟
وازْجُرْ جُفُونَكَ ، لَاتَرْضَ البُكَاءُ لَهَا وَاصْبِرْ، فَقَدْ كُنْتَ عِنْدَ الخَطْبِ تَصْطَبِرُ[1]

والثانية فهي تلك التي وجهها لابنه الذي لم يلب الدعوة إلى الخروج إلى "**لورقة**"لمحاربة العدو مفضلاً القراءة و المطالعة على الحروب مما أدى إلى إنهزام الجيوش الإشبيلية[2] .

نخلص من خلال قراءتنا لقصائد **المعتمد** السابقة أنه قد أبدى مدى براعته وعلمه بأسرار اللغة و البلاغة و البيان ، فأتى الكل بأسلوب بليغ متين يستميل القارئ لسلاسته وخلوه من الغريب[3] . بالإضافة إلى كثرة معانيه الحسنة المأخذ المتسمة بالصدق والإخلاص .

فرقة الشاعر في شعره ووفرة بديعياته وحسن استخدام الإستعارة يوحي إلى اقتداره الفني وحسن تصرفه في الصياغة وهذا مالم يكن لغيره من الشعراء . ونظرا لاتكاء المعتمد على موروث شعري ضخم استوعبه واستخلص أجْمل ما فيه وعزف على أوتاره أنغام غنائياته الملكية المتوهجة باقتناص أوقات الفرح ولحظات السعادة و التقلب في أحضان جواريه ومداعبة محظياته كما عزف أيضاً على أنغام محنته ومأساته[4] ، و التي تعتبر فريدة من نوعها بحيث ستصبح ثابتة من ثوابث شعر **المعتمد** في المنفى.

[1] ـ ديوان المعتمد بن عباد ، تحقيق أحمد أحمد بدوي وحامد عبد المجيد ، ص 21 .
[2] ـ حمدان حجاجي محاضرات غي الشعر الأندلسي في عصر الطوائف ، ص 41 .
[3] ـ ينظر المصدر نفسه ، ص 51 .
[4] ـ ينظر فاروق شوشة ، المعتمد بن عباد ، ص 113 .

ب – شعر المعتمد في المنفي :

حالت الأيام بين " **المعتمد بن عباد**" و ملكه و نزوله من قصره إلى أسره ، بحيث أضطر إلى فراق الأهل و الأوطان و هو مقاد إلى أغمات بالمغرب التي أفنى آخر أيامه فيها ، فكان هذا من أقوى الأثار عمقاً في نفسه ، فراح يصور لنا هذا الظلم و ما لقيه من الذلة و المهانة في أبيات صورت لنا ما يختلج في صدره من الهم و الغدر ، يشكو بثه و حزنه و يأسه على مصيره .

إذن تجربة **المعتمد** مثال حي لمأساة كانت تتجدد يوما بعد يوم على مدى سنوات سجنه ، و كذلك بمثابة عاصفة مدمرة أنزلته من برجه العالي إلى حقيقة الحياة ، و مرغت قلبه بتراب الوجد ، فبكى بعد غيبوبة النشوة و تَمْلمَلَ على فراش الحزن بعد لين المسرة[1]

فشتانا بين تاج الملوك و ذل القيود و أثرها الموجع على النفوس حتى قال في وصفه للحالة التي صار إليها :

تَبَدَّلْتُ مِـــنْ عِزِّ ظِلِّ البُنُـــودِ ... بِذُلِّ الحَـــدِيْدِ وَ ثِقْـــلِ القُيُودِ
وَ كَـــأَنَّ حَدِيْدِي سِنَـــانًا ذَلِيقًـــا ... وَ غَضْبًا رَقِيقًـــا ثَقِيْـلَ الحَدِيْدِ
فَقَدْ صَـــارَ ذَاكَ وَ ذَا أَدْهَمًـــا ... يَعُـضُّ بِسَاقِـــيَّ عَـضَّ الأُسُودِ[2]

ما أصعب وضع المعتمد الذي هو فيه و أنينه الذي أوجع قلوب محبيه و أهليه.

مما هو واضح أن شاعرنا يندب ماضيه الذي شهد حياته المشرقة التي كان فيها فارسا لا يشق له غبار و كان يتقلد السيوف الدقيقة و الرماح الحادة . لقد تحول هذا الماضي إلى حاضر سيء بحيث استبدل فيها الحديد الصقيل إلى قيود أثقلت ساقيه فما عاد يرى حديدها صقيلاً بل شديد السواد بسبب شدتها عليه لأنها تعضه عض الأسود .[3]

فثقل القيود لا تثقل الأبدان و فقط بل تثقل حتى على الأنفس والأرواح بالذل الذي تغمسه في صاحبها .

ويقول أيضاً في وصفه لهذه القيود التي أثقلت كاهله :

قِيْدِي أَمَا تَعْلَمْنِي مُسْلِمًا ... أَبَيْتَ أَنْ تُشْفِقَ أَوْ تَرْحَمَـا
دَمِي شَرَابٌ لَكَ وَاللَّحْمُ قَدْ ... أَكَلْتَهُ إِلَّا تُهَشِّمِ الأَعْظُـمَا
يُبْصِرُنِي فِيْكَ أَبُو هَـاشِمٍ ... فَيَنْثَنِي وَ القَلْبُ قَدْ هُشِّمَا[4]

---

[1] ـ ينظر حنا الفاخوري الموجز في الأدب العربي وتاريخه ج3 ،ص224.
[2] ـ ديوان المعتمد بن عباد تحقيق أحمد أحمد بدوي و حامد عبد المجيد ص 88
[3] ـ محمد سعيد محمد دراسات في الأدب الأندلسي ص200.
[4] ـ المصدر السابق ص 112.

فتذكر المعتمد للماضي الزاهي و الفاخر بكل ما هو جميل من قصور و نعم يزيد من أنينه على ماولى وغبر بصفة نهائية . و قد تحمل شاعرنا هذه المحن المتنوعة كلها بفضل ماكان

يحظى به من قوة نفسية نادرة ، إلا أنه لم يستطع تحمل الأغلال الثقيلة في قدميه لهذا هو يخاطبها لعلها تشفق عليه و ترحمه[1]

و لعل من أجمل القصائد التي قالها عندما هوجمت إشبيلية لما خرج مدافعاً عن نفسه و أهله و كان قد أشار عليه و زراؤه بالخضوع و الإستعطاف :

لَمَّا تَمَاسَكَتِ الدُّمُـــوعُ وَ تَنَبَّهَ القَلْبُ الصَّدِيـــعُ
قَالُوا الخُضُـــوعَ سِيَاسَةٌ فَلْيَبْدُ مِنْكَ لَهُمْ خُضُوعُ
وَ أَلَذُّ مِنْ طُعْمِ الخُضُوعِ عَلَى فَمِي السُّمّ النَّقِيعُ[2]

و كأني بالمعتمد يجد في موقفه هذا مفخرة وشرفاً آثر فيه السم على الاستسلام و الخضوع .

وطبيعي لشاعر مثل المعتمد أن يبكي إماراته و دولته و ما كان فيه من عز وسلطان و أبهة و حياة مرهفة واسمه ملء الآذان في الأندلس ، و الشعراء يغدون عليه ويروحون بفرائد من أمداحهم ، و هو يسيغ عليهم عطايا كأنها سحب غدقة منهلة ، وكل ذلك أضحى وزال، و كأنه كان حلماً و استيقظ منه على اليأس و البؤس و يبكي و يظل يبكي ويذرف الدمع مدراراً منشداً قوله[3] :

غَرِيبٌ بِأَرْضِ المَغْرِبِينِ أَسِيرُ سَيَبْكِي عَلِيهِ مِنْبَرٌ وَ سَرِيرُ
وَ تَنْدُبُهُ البِيْضُ الصَّوَارِمُ وَ القَنَا وَ يَنْهَلُّ دَمْعٌ بَيْنَهُنَّ غَزِيرُ
فَيَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَبِيتَنَّ لَيْلَةً أَمَامِي وَ خَلْفِي رَوْضَةٌ وَ غَدِيرُ؟
بِمَنْبَتَةِ الزَّيْتُونِ مَوْرِثَةِ العُلَا تُغَنِّي قِيَانٌ أَوْ تَرِنُّ طُيُورُ؟
يَزَاهِرِهَا السَّامِيِّ الذُّرِيِّ جَادَهُ الحَيَا تُشِيرُ الثُّرَيَا نَحْوَنَا وَ تُشِيرُ؟[4]

يقف الشاعر في مقارنة مستمرة و دائمة بين ماضيه الزاهر و حاضره البائس الذي أبكى منبره و عرش إمارته، و بكت شجاعته السيوف و الرماح و يتقاطر دمع غزير، فيبقى الشاعر في سؤال دائم مع ذاته هل يا ترى يمكن أن تعود ليلة واحدة و ينعم بما كان فيه من بساتين و رياض بإشبيلية؟ إشبيلية بلدة الزيتون و العز و العلا و القيان المغنيات الجميلات و الطيور الصادحات حول قصوره : الزاهر و الثريا و غيرهما، فأضحى كل هذا البنيان المتأنق في إشبيلية إلى متاعس في أغمات[5].

[1] ـ ينظر حمدان حجاجي محاضرات في الشعر الأندلسي في عصر ملوك الطوائف ص52
[2] ـ ديوان المعتمد بن عباد تحقيق أحمد أحمد بدوي و حامد عبد المجيد ص 88
[3] ـ شوقي ضيف عصر الدول و الإمارات- الأندلس – ص 340.
[4] ـ المصدر السابق ص 26.
[5] ـ ينظر شوقي ضيف المرجع السابق ص 3

لم يبقى للمعتمد وهو بين جدران السجون سوى الرجوع بذاكرته إلى ماضيه الزاهي عله يؤنسه و يسليه عما هو عليه في الأسر.

لقد توالت على **المعتمد** النكبات و المحن حيث ذاق فيها مذلة الفقر و فقر المذلة يستوحي آلامه شعرًا كان حكاية حاله و صورة لآلامه و آماله[1] .

و المعتمد في هذه الحالة سجل مشاعره الحزينة، و هو يقارن بين حالتيه، و يتخير اللحظات التي يحس الإنسان فيها بالمدى الواسع بين معالم البهجة و الأسى كأيام العيد[2] . حين اضطرت بناته إلى ممارسة "الغزل" ليواجهن بأجرته مطالب الحياة و يدخلن عليه في سجنه ليهنئنه[3] ، فإذا هن حافيات يعانين من الجوع و العراء، فلطالما عرفن رغد العيش و سعة الرخاء و الأن صرن بأسمال رثة بالية[4] . عندئذ تبلغ المأساة ذروتها و تعصف بوجدان الأب الملتاع العاجز عن حماية بناته و العزيزة "إعتماد" من عواصف الأسى و التفجع و الندم على خطيئته التي بدأت بالاستعانة بعدوه، و لكن بعد فوات الأوان، مرارة الأسر و الاغتراب و مشاعر الأسف و الندم تملأ شعره و هو يصرخ قائلا بأعلى صوت :

فِيمَا مَضَى كُنْتَ بِالأَعْيَادِ مَسْرُورَا ... فَسَاءَكَ العِيدُ فِي أَغْمَاتَ مَأْسُورَا

تَرَى بَنَاتَكَ فِي الأَطْمَارِ جَائِعَةً ... يَغْزِلْنَ لِلنَّاسِ مَا يَمْلِكْنَ قِطْمِيرَا

بَرْزَنَ نَحْوَكَ لِلتَّسْلِيمِ خَاشِعَةً ... أَبْصَارُهُنَّ حَسِيرَاتٌ مَكَاسِيرَا[5]

فما أصعب هذه الوطأة عن نفس **المعتمد** بعدما كان آمرا و ناهيا، و لكن بعد إلتواء الحال عليه صار منهيا و مأمورا و هو يستقبل أول عيد عليه في أغمات.

و مما زاد في أسى **المعتمد** و حسرته مرض العزيزة "**إعتماد**" و هو حائر الفكر في طريقة علاجها في هذا المحيط العدواني القاسي الذي لا أثر لأدوية و لا لمداو[6] .

و قيل أن الوزير **أبو العلاء زهر بن عبد الملك بن زهر** حل **بمراكش** حيث استدعاه أمير المسلمين. -ابن تاشفين- لعلاجه فكاتب إليه **المعتمد** راغبا في علاج السيدة و مطالعة أحوالها بنفسه، فأجاب الوزير عن رسالته. و اتُفق أنه دعى **للمعتمد** بطول البقاء[7] ، لكن **المعتمد** رفض هذا نظرا لظروفه فيعلل هذا بقوله :

دَعَا لِي بِالبَقَاءِ وَ كَيْفَ يَهْوَى ... أَسِيرٌ أَنْ يَطُولَ بِهِ البَقَاءُ

أَلَيْسَ المَوْتُ أَرْوَحُ مِنْ حَيَاةٍ ... يَطُولُ عَلَى الشَّقِيِّ بِهَا الشَّقَاءُ

---

1 – حنا الفاخوري الموجز في الأدب العربي وتاريخه ج3 ،ص 224 .
2 – إحسان عباس تاريخ الأدب الأندلسي (عصر الطوائف والمرابطين) ، دار الثقافة بيروت ، لبنان ، ط6 1982م ، ص 189 .
3 – فاروق شوشة المعتمد بن عباد ، ص 111 .
4 – حمدان حجاجي محاضرات في الشعر الأندلسي في عصر الطوائف ، ص 53 .
5 – ديوان المعتمد بن عباد ، تحقيق أحمد أحمد بدوي وحامد عبد المجيد ، ص 100 .
6 – المرجع السابق ، ص 218 .
7 – ينظر ابن بسام الشنتريني الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، ص 227 .

إلى أن يقول :

مَاذَا رَمَتْكِ بِهِ الأَيَّامُ يَا كَبِدِي مِنْ نَبْلِهِنَّ وَ لَا رَامٍ سِوَى القَدَرِ[1].

فما أعجب هذه الدنيا التي صار فيها أبناء الأسياد خوادم! ، بحيث راح **المعتمد** في حزنه يتأمل و يعتبر و يخرج من تأمله حكيما يفقه زوال الدنيا و سراب الوجود ، وراح يقارن بين الماضي و الحاضر ، وإذا في نفسه صراع ينسيه الحقائق التي جنى ثمارها من التأمل و الإعتبار ، حتى تحول هذا الصراع إلى سخط على الدهر الذي يحارب الصالحين ، و إلى كآبة شديدة تحيي فيه الذكريات و تزجه في عالم الفرحة السالفة في يأس يهون معه الموت الزؤام[2] .

يبدو و أن المعتمد يتتبع ذكر **الرميكية** و بناتها تارة ، وتارة أخرى يتذكر ما حدث لولديه الراضي و المأمون و ما حدث لهما من غدر ، و هذا ما يزيده تحسراً و لوعة و ندامة معتبراً نفسه مسؤولاً عن وفاتهما[3] فرثاهما في قصيدة مطلعها :

هَوَى الكَوْكَبَانِ ، الفَتْحُ ثُمَّ شَقِيْقُهُ يَزِيْدُ فَهَلْ بَعْدَ الكَوَاكِبِ مِنْ صَبْرِ[4]

إن مرثية **المعتمد** كلها شكوى و بكاء و أنين لما أصاب نجليه و ما خلفاه من حزن لدى الجميع و ما آل إليه الملك العزيز .

و من نظم **المعتمد** لما رأى قمرية بائحة بشجنها ، نائحة بفننها على ساكنها و أمامها وكر فيه طائران يرددان نغما و يغردان ترحة و ترنما ، فراح يصف القمرية و فرخيها و يرثي في الوقت ذاته " **ابنيه الراضي و المأمون** "[5] مرة أخرى :

بَكَتْ أَنْ رَأَتْ إِلْفِينِ ضَمَّهُمَا وَكْرٌ مَسَاءً وَ قَدْ أَخْنَى عَلَى إِلْفِهَا الدَّهْرُ

بَكَتْ لَمْ تَرُقْ دَمْعاً وأَسْبَلَتْ عِبْرَةٌ يُقَصِّرُ عَنْهَا القِطْرُ مَهْمَا هَمَى القَطْرُ

وَ نَاحَتْ فَبَاحَتْ وَاسْتَرَاحَتْ بِسِرِّهَا وَمَا نَطَقَتْ حَرْفاً يَبُوحُ بِهِ سِرُّ

فَمَالِي لَا أَبْكِي أَمِ القَلْبُ صَخْرَةٌ وَكَمْ صَخْرَةٍ فِي الأَرْضِ يَجْرِي بِهَا نَهْرُ[6]

---

1 – ديوان المعتمد بن عباد ، تحقيق أحمد أحمد بدوي وحامد عبد المجيد ، ص 90 .
2 – حنا الفاخوري الموجز في الأدب العربي وتاريخه ج3 ،ص 224 .
3 – حمدان حجاجي محاضرات في الشعر الأندلسي في عصر الطوائف ، ص 218 .
4 – المصدر السابق ، ص 105 .
5 – صلاح جرار قراءات الشعر في الأندلسي ، دار الميسرة ، عمان ، ط1 : 2007 ، ص 142 .
6 – ديوان المعتمد بن عباد المصدر السابق ، ص 69 .

يصور لنا المعتمد حال القمرية حين رأت إلفين في وكر ، بينما هي فقدت إلفها ، فهي تبكيه بدمع مترقرق في جفونها لا يبلغ تعبيره في الحزن و الشجا القطر مهما همى و سال ، و يبدو أن النواح أو البكاء أراحها من سرها الدفين سرّ حزنها على إلفها الذي فقدته ، و يتوجه المعتمد لمخاطبة نفسه لماذا لا أبكي ؟ هل أنا صخرة ؟و مع ذلك فإن الصخرة تتشقق منه و

تجري به الأنهار و المياه الغزيرة ، فإذا أبكى القمرية واحداً و أحزانها فقده [1] . فكيف و لا يبكي المعتمد ألافه و خلانه الذين فارقوه و أبعِد عنهم بحيث لايوجد أمل في لقائهم .

و للمعتمد في هذا أشعار كثيرة تفيض حسرة ولوعة لفقده العز و السلطان و حرقته على تناثر عقده الأسري.

أ ما أشعار المعتمد التي يشكو فيها زمانه كثيرة منها :

قَبَّحَ الدَّهْرُ فَمَـاذَا صَنَعَا كُلَّمَـا أَعْطَـــى نَفِيسًـا نَزَعَا

قَدْ هَوَى ظُلْمًا بِمَنْ عَادَتُهُ أَنْ يُنَادِي كُلَّ مَنْ يَهْـوَى « لَعَـا» [2]

و يقول أيضا :

مَوْلَايَ أَشْكُـو إِلَيْـكَ دَاءً أَصْبَـحَ بِقَلْبِـي بِـهِ قَـرِيحًـا

سَخْطُكَ قَدْ زَادَنِي سَقَـامًا فَابْعَثْ إِلَيَّ الـرِّضَـى مَسِيحًـا [3]

يلعن الشاعر الدهر الذي أوصله إلى ما هو فيه من حال ، فبعد العز صار في الذل و بعد الملك أ صبح في السجن و تبدلت حياة النعيم إلى حياة الشقاء ، فورود الاستفهام جاء للتعجب و الاستغراب ، فلم يخطر على بال المعتمد و لا في يوم من الأيام أن يُبعد عن ملكه في إشبيلية و يُقيد بالسلاسل و الأغلال و ينفى إلى أغمات في صحراء المغرب [4] . و بهذا تبقى قصة "المعتمد ابن عباد" رمزاً للإنسان العربي المسلم في عزته و إبائه في نخوته و شهامته ، في رجولته و صموده ، فقد عاش عظيماً و مات عظيماً ، عاش ملكاً و مات ملكاً ، وخلف في الدنيا كلمة ستبقى مرتبطة باسمه و بنصره في معركة "**الزلاقة**" « **رعي الإبل خير من رعي الخنازير**»[5] . فكان الشعر الأندلسي قد حفظ **للمعتمد** سيرته الأدبية و البطولية التي غطت ضعفه السياسي .

وقد تأتى للمعتمد أن يذكر شعراء بلاطه في ازدهاره و كيف كان يعامل الجميع ، و ذلك بعدما زاره بعض الأوفياء إلى أغمات ، و لم يكن بيده ما يجازيهم به كعادته فيقول معتزاً بنفسه مفتخراً من جهة و معتذراً من جهة أخرى [6]

[1] ينظر شوقي ضيف عصر الدول و الإمارات - الأندلس – ص 341

[2] ديوان المعتمد بن عباد تحقيق أحمد أحمد بدوي و حامد عبد المجيد ص 94.

[3] المصدر نفسه ص 113.

[4] ينظر محمد سعيد محمد درسات في الأدب الأندلسي ص 206.

[5] بسام العسلي مشاهير قادة الإسلام – المعتمد و ابن تاشفين ص 190 .

[6] حمدان حجاجي محاضرات في الشعر الأندلسي ص 52 .

كُنْتَ حَلْفَ النَّدَى وَرَبَّ السَّمَاحِ وَ حَبِيْبَ النُّفُوسِ وَ الأَرْوَاحِ
إِذْ يُمِيْتُنِي لِلْبَذْلِ يَوْمَ العَطَايَا وَ لَفِيْفَ الأَرْوَاحِ يَوْمَ الكِفَاحِ[1]

فقدانه للأموال لم يحل بينه و بين جوده الأصيل فالشعر يقوم مقامها ، فمدح **المعتمد** زائره **ابن اللبانة** بقصيدة كلها حنان فقال مادحاً :

كَلاَمُكَ حُرٌّ وَ الكَلاَمُ غُلاَمٌ وَ سِحْرٌ وَ لَكِنْ لَيْسَ فِيهِ حَرَامُ
وَدُرٌّ وَ لَكِنْ بَيْنَ جَنْبَيْكَ بَحْرُهُ وَ زَهْرٌ وَ لَكِنَّ الفُؤَادَ كَمَامُ

إلى أن يقول :

أَضَاءَ لَنَا أَغْمَاتَ قُرْبُكَ بُرْهَةً وَ عَادَ بِهَا حَيْنَ ارْتَحَلْتَ ظَلاَمُ[2]

و هكذا أمضى المعتمد آخر أيامه الحزينة داخل منفى أغمات ينظر إلى الذاهبين و الباقين من ذويه ، و يتقلب بين دمعة الرثاء و جرح البقاء في لوعة بثت شعره حرارة اللهات المحترق و يسكب على قوافيه عالما من الأشجان و هو أبداً صادق الانفعال ، صادق الشعور[3] . و بهذا فحياة المعتمد شعره و شعره حياته[4] .

و هكذا تستمر أحاسيس المعتمد بن عباد الفياضة بالأسى و الحزن المرير و الحسرة على ماض زاهر و حاضر بائس بمرثية يرسم لنفسه صورة مأسوية شديدة القتامة لخاتمته ، حيث يقرر أن موته الحقيقي كان في **إشبيلية** و يسميها باسمها البلاغي التشبيهي « **حمص**» عندما فقد سلطانه ، و هناك تبعثر قبره و قبور أهله جميعاً ، و قد صدق حدسه في قضية « **تبعثر القبور**» إذاشتملت **إشبيلية** على بعض من قبورأهله بينما تفرقت قبورالباقين منهم في المغرب[5].

فلما أحس بدنو المنية أنشد هذه الأبيات قائلاً :

قَبْرُ الغَرِيْبِ سَقَاكَ الرَّائِحُ الغَادِي حَقّاً ظَفِرْتَ بِأَشْلاَءِ ابْنِ عَبَّادِ
بِالحِلْمِ بِالعِلْمِ بِالنُّعْمَى إِذَا اتَّصَلَتْ بِالخَصْبِ أَنْ أَجْدَبُوا بِالثَّرَى لِلصَّادِي
بِالطَّاعِنِ الضَّارِبِ الرَّامِي إِذَا اقْتَتَلُوا بِالمَوْتِ أَحْمَرُ بِالضِّرْغَامَةِ العَادِي
بِالدَّهْرِ فِي نَقْمٍ بِالبَحْرِ فِي نِعَمٍ بِالبَدْرِ فِي ظُلَمٍ بِلاَ صَدْرٍ فِي النَّادِي
نَعَمْ هُوَ الحَقُّ فَاجَأَنِي عَلَى قَدَرٍ مِنَ السَّمَاءِ وَ وَافَانِي لِمِيْعَادِ[6]

---

[1] ديوان المعتمد بن عباد تحقيق أحمد أحمد بدوي و حامد عبد المجيد ص 113 .
[2] المصدر نفسه ص 91
[3] حنا الفاخوري الموجز في الأدب العربي و تاريخه ج2 (الأدب الأندلسي و المغرب أدب الإنحطاط) ص 225.
[4] أحمد أمين ظهر الإسلام ص 490
[5] ينظر رحيم مقداد رثاء النفس في الشعر الأندلسي ص 215 / 216.
[6] ديوان المعتمد بن عباد المصدر السابق ، ص 96.

و من النادر الغريب أنه نودي في جنازته بالصلاة على الغريب بعد عظيم سلطانه و جلالة شأنه ، فتبارك من له البقاء و العزة و الكبرياء [1] .

و هكذا فتبقى وجدانية **ابن عباد** هي وجدانية النفس السهلة اللينة التي تنصب على واقعها و واقع أحوالها الحياتية و تعالج آلامها بالتنهدة الحُرَّى ، و الزفرة العميقة ، و الإرنان الطويل، فليس هنالك تعقد ولا تعقيد، و ليس هنالك نظرات إنسانية بعيدة المرامي، و إنما هنالك إخلاص في العاطفة و صدق في التجربة و حكاية حال حافلة بالإنكسار النفساني و الذهول الآسف المتألم [2].

وبهذا ينتهي عهد ملك الفروسية و الشعرفبعد عز و رخاء إلى ذل و حسرة و لم يبق لنا إلا أبيات شعر هي ظل لصاحبها لقوة أثرها في النفس .

[1] ابن بسام الشنتريني الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة مج1 ص 57
[2] حنا الفاخوري الموجز في الأدب العربي و تاريخه ج3 (الأدب الأندلسي و المغرب أدب الانحطاط) ص 225

علاقة المعتمد بالشعراء

لا شك في أن المعتمد معدود في طبقة المجودين من شعراء الأندلس ، هذا بالإضافة إلى ما طبع عليه من خلال طيبة و سجايا حميدة ، و لا يعرف في ملوك الأندلس من ضاهاه في حب الأدباء و الشعراء و إزاحة عللهم و إقالة عثراتهم و حب الاتصال بهم و تزجية الوقت معهم [1] و كان من الشعراء الذين تمدحوه وقت عزه و سلطانه وفوا له بعد أسره نجد **أبو بكر ابن اللبانة** الذي يعتبر خير من تفجع على زوال الدولة العبادية فكان يزوره بين الفينة و الأخرى مادحا إياه[2] . فما إن عرف الشاعر بنقل **المعتمد** و عائلته إلى أغمات حتى أسرع يقطع البحر للقاء مولاه و جرى بين الشاعرين لقاء وصفه « **ابن اللبانة**» بقوله وجرت بيني و بين **المعتمد** مخاطبات ألذ من غفلات الرقيب ، و أشهى من رشفات الحبيب ، و أدل على السماح من فجر على صباح[3] ، حيث قال متفجعا على مصير **آل عباد** :

تَبْكِي السَّمَاءُ بُمزْنٍ رَائِحٍ غَادٍ ... عَلَى البَهَالِيلَ* مِنْ أَبْنَاءِ عَبَّادِ

عَلَى الجِبَالِ التِّي هُدَّتْ قَوَاعِدُهَا ... وَ كَانَتْ الأَرْضُ مِنْهُ ذَاتَ أَوْتَادِ

يَا ضَيفُ أَقْفِرَ بَيتَ المُكْرَمَاتِ فَخُذْ ... فِي ضَمِّ رَحْلِكَ وَاجْمَع فُضْلَةَ الزَّادِ

إلى أن يقول :

كَمْ سَالَ فِي المَاءِ مِنْ دَمْعٍ وَ كَمْ حَمَلَتْ ... تِلْكَ القَطَائِعُ مِنْ قَطِعَاتُ أَكْبَادِ[4]

فكان وفود "**أبو بكر**" على " **المعتمد** "دليلا على أن كرم العهد كما كان ، و أن الوفاء لم يدرس رسمه حتى الآن، فمدحه للوفاء بأحسن مما مدحه في الغناء حيث قال من قصيدة آل عباد :

وَقَفَ الفِرَاقُ أَمَامَ عَينِي غَيهَبَا ... فَقَعَدْتُ لَا أَدْرِي لِنَفْسِي مَذْهَبَا[5]

فإن شعر هذا الشاعر الباكي المنظوم في مأساة ملك إشبيلية و أولاده من بعده من ذلك الشعر الذي يستدر الدموع و يثير الأشجان و نجد تائيته التي ألقاها على قبره في أغمات قوله :

لِكُلِّ شَيْءٍ مِنَ الأَشْيَاءِ مِيقَاتُ ... وَ المُنَى مِنْ مَنَايَاهُنَّ غَايَاتُ

أَنْقَضَ يَدِيكَ مِنَ الدُّنْيَا وَ سَاكِنِهَا ... فَالأَرْضُ قَدْ أَقْفَرَتْ وَ النَّاسُ قَدْ مَاتُوا

وَ قُلْ لِعَالَمِهَا العُلْوِيِّ قَدْ حَتَمَتْ ... سَرِيرَةَ العَالَمِ الأَرْضِيِّ أَغْمَاتُ[6]

---

[1] محمد رضا الشبيبي أدب المغاربة لأندلسيون (في أصولهم المصرية و نصوصه العربية) – دار إقرأ- ط2 : 1984 م ص 55

[2] محمد رضوان الداية في الأدب الأندلسي ص 154.

[3] بسام العسلي مشاهير قادة الإسلام ج9 ص 128.

* - السادة

[4] شوقي ضيف فنون الأدب العربي – الفن الغنائي – 2 – الرثاء دار المعارف القاهرة ط6 ص 45/54.

[5] عبد الواحد المراكشي المعجب في تاريخ أخبار المغرب ج9 ص 505 .

[6] - محمد رضا الشبيبي أدب المغاربة و الأندلسيين (في أصوله المصرية ونصوصه العربية)، دار إقرأ ، ط2 1984 ، ص 53

و نجد **ابن حمديس** هو الآخر يتفجع على **آل عباد** :

وَ لَمَّا رَحَلْتُم بِالنَّدَى فِي أَكُفِّكُمْ وَ قَلْقَلَ رِضْوَى مِنْكُمْ وَ ثَبِيرُ

رَفَعْتُ لِسَانِي بِ «القِيَامَةِ قَدْ دَنَتْ» فَهُذِّي الجِبَالُ الرَّاسِيَاتُ تَسِيرُ[1].

و " **لابن زيدون** " أبيات كتبها إلى " **المعتمد** " يشوقه إلى تعاطي الحمية في قصوره البديعة التي منها "**المبارك**" و "الثريا" قوله :

يَا أَيُّهَا المَلِكُ ، الذِّي لَوْلَاهُ لَمْ تَجِدِ الـعُقُولُ الـتَّنَاشِرَاتُ كَمَا لَا

أَمَّا "الثُّرَيَّا" فَالثُّرَيَّا نُصْبَةً وَ إِفَـادَةً وَ إِنَـاقَـةً وَ جَمَـالَا

قَصْرٌ يَقِرُّ العَيْنَ مِنْهُ مَصْنَعٌ يَبِيحُ الجَوَانِحَ، لَوْ مَشَى لَا نْتَالَا [2]

و بهذا كان شعر المعتمد المنفس الوحيد عن كربه و همه، فلم يقل الشعر إلا في أحواله الخاصة، فما هو من شعراء المدح و لا هو من شعراء الهجاء لأن الله أغناه بعزة الملك من الإستجداء و التكسب أو التعرض للناس بالذم و الشتائم [3]، فقد حق قول المؤرخ الكبير« **دوزي**» في كتابه « **إسبانيا الإسلامية**» «لم يتح لملك ما أتيح للمعتمد من رهافة الحس و شاعرية النفس، و لقد كانت أتفه الحوادث التي تمر به في حياته سرعان ما ترتدي الثوب الشعري»[4]

و بهذا يكون خلود **إبن عباد** في الأدب إلى الشعر الوجداني الخالص الذي قاله في نكباته المتوالية عليه و ليس إلى ما نظمه و هو خافض العيش في نعيم دولته. فلولا الأسر لما سجل المعتمد سر خلوده بتلك النفثات الرائعة[5] و التي ستحمل أهم الخصائص الفنية التي ميزت أغماتياته في ما يلي .

[1] - أحمد أمين ظهر الإسلام ص 493.
[2] ديوان ابن زيدون حققه حنا الفاخوري ،دار الجيل ، بيروت ، ط1 : 1990 ص 358.
[3] - بطرس البستاني أدباء العرب في الأندلس و عصر الإنبعاث ص 154.
[4] - يوسف عطا الطريفي شعراء العرب المغرب و الأندلس ص 313.
[5] المرجع السابق ص 155.

الفصل الثالث

الخصائص الفنية لأغماتيات المعتمد بن عباد

الفصل الثالث :الخصائص الفنية لأغماتيات المعتمد بن عباد .

I- اللغة والأسلوب.

1- اللغة : إن التعرف على اللغة أو المعجم اللغوي لأشعار المعتمد يستوجب منا دراسة : اللغة الرقيقة اللينة و اللغة القوية الجزلة.

ا- **اللغة الرقيقة اللينة :** وهي التي تحتوي الألفاظ الوجدانية والحديث عن الوجدان يعني بالضرورة الحديث عن ما يختلج النفوس من مشاعر وأحاسيس وعواطف مختلفة ومتميزة .

فنفس **المعتمد** التي تحكي عن الألم والحسرة والأسى الذي ينتجه الأنين على الماضي الزاهر والحاضر البائس ، على هذا جاءت الألفاظ الوجدانية كثيرة في نظمه كما مر علينا وهو أسير في أغمات ،فنجد على سبيل المثال لا الحصر لفظة(كبدي، مأسورا، حسيرات، مكاسيرا، الخضوع، مسرورا ، القلب ، الحنين ، البكاء....الخ)

و تعتبر هذه الألفاظ تصويرٌ لحال المعتمد وما آل إليه والفاجعة التي حلت به وبذويه والتشتيت الأسري الذي أصابه ، وعلى هذا جاءت هذه الألفاظ الوجدانية شديدة التماسك فيما بينها مؤداها رسم المأساة و تصوير هذ الواقع المرير نظرا لمعايشة المعتمد الوقائع ذاتها .

ومما زاد في كثرة الدموع وكثرة الأسى هو الوضع الذي ألت إليه كريمته و بناتها حين دخلن عليه يزرنه ويهنئنه في يوم العيد وهو لا يملك طاقة على تحمل ما هم فيه و لذلك راح يقول :

فَيْمَا مَضَى كُنْتُ بِالأَعْيَادِ مَسْرُورا فَسَاءَكَ العِيْدُ فِي أَغْمَاتَ مَأْسُورا[1]

إن وجود هذا الكم الهائل من الألفاظ الوجدانية الواردة في أشعار العزيز الذي ذل ، توحي إلى تصوير الأهوال وفجائع تقلب الزمان من جهة ، ومن جهة أخرى كانت بمثابة المفرّج الوحيد عن مكبوتات شاعرنا الحزينة و التي أظهرت تلك المشاعر و الأحاسيس في ألفاظ لغوية تسمو بالعاطفة التي حوت معاني الشوق لكل شيء جميل ، وطول الأسر الذي لا أصل في الخلاص منه.

من خلال قراءتنا لأشعار المعتمد وهو في المنفى مأسوراً ، نستشف أنه لم يكن متوعِّداً ولا ثائراً ، بل يائسا مستسلماً ، فلهذا جاءت جُلّ أشعاره وجدانية عاطفية .

ب- **اللغة القوية الجزلة:** تبدو أشعار المعتمد من ناحية جزالتها أنها تظهر معظمها يوم كُبّل ووضع في السفن حيث قال :-

إِلَيْكَ فَلَو كَانَتْ قُيُودُكَ أَشْعِرَتْ تَصَرَّمَ مِنْهَا كُلَّ كَفٍّ وَ مِعْصَمِ
مَهَابَةَ مَنْ كَانَ الرِّجَالُ بِسَيْبِهِ وَمِنْ سَيْفِهِ فِي جَنَّةٍ أَوْ جَهَنَّمِ[2]

ونجد أيضاً من الألفاظ الجزلة في شعره لما شُنّت الغارة على البلد و خرج مدافِعاً عن نفسه و بلده قائلاً في ذلك :

مَا سِرْتُ قَطُّ إِلَى القِتَالِ وَكَانَ مِنْ أَمَلِي الرُّجُوعُ
شِيمُ الأُلَى وَأَنَا مِنْهُمُو وَ الأَصْلُ تَتْبَعُهُ الفُرُوعُ[3]

---

[1] - ديوان المعتمد بن عباد تحقيق أحمد بدوي وحامد عبد المجيد ص100

[2] - المصدر نفسه ص112.

[3] المصدر نفسه ص88 .

فالألفاظ الجزلة واضحة من خلال المثال الأول و الثاني في كلمة (مهابـــة – معـــصم – سيفه – جهنم – القتال)

2- **الأسلوب** :

مما هو واضح وجلي أن أدب السجون بصفة عامة تطغى عليه الأساليب الإنشائية على الأساليب الخبرية لأن صيغ الاستفهام والأمر والتمني والترجي... مثيرة للعواطف.

فالحل نفسه نجده مع شاعرنا " المعتمد بن عباد " الذي أكثر استعمال الإنشاء على الخبر فمن **الأساليب الخبرية** الواردة في مختلف تراكيبه لِمَا تقتضيه المعاني و الدلالات نظراً لطبيعة الأحداث الواقعة **للمعتمد** و التي قام بتصويرها في قوله :

قَدْ هَوَى ظُلْمَاً بِمَنْ عَادَتُهُ أَنْ يُنَادِي كُلَّ مَنْ يَهْوَى "لَعَا"[1]

يبدو أن **المعتمد** في هذا البيت جاء إخباره عن ما آل إليه بعد عز سلطانه وقوة عظمته فهو تقرير بتقلب الأيام و عدم ثباتها على حلٍ واحدة .

وقد تأتي الأخبار في أشعار المعتمد حالة وصفه للقيد و هو يعاني من قسوة الأغلال في أسره معبّراً عن الألم المبرح من عض القيود عليه، إذ راح **المعتمد** يخبرنا مقرراً بذلك حين قال :

تبدَّلتُ مِنْ عِزِّ ظِلَّ البُنُودِ بِذُلِّ الحَدِيْدِ وَثِقْلِ القُيُودِ
وَكَأَنَّ حَدِيْدِي لِسَانَاً ذَلِيقَاً وَغَضْبَاً دَقِيْقَاً صَقِيلَ الحَدِيْدِ
فَقَدْ صَارَ ذَاكَ وَذَا أَدْهَمَا يَعُضُّ بِسَاقِيَّ عَضَّ الأُسُودِ[2]

فوصْفُ المعتمد للقيد وذكره للحقائق والدقائق لما هو عليه في الأسر مرتبط بالحالة النفسية للشاعر.

فبرغم قلة الأساليب الخبرية في نظم المعتمد إلا أنها ذات دلالة عميقة في نفوس قارئيها فالإخبار عند الملك العزيز مبني على الحسرة و الألم و الحزن و البكاء ، و الانفعالات الداخلية المنكسرة التي ندرك مدى مصداقيتها و نحن نتأمل أبيات المعتمد ونتدبر فيها عن حق وحقيقة .

أما **الأساليب الإنشائية** فقد طغت على نظم شاعرنا حيث نجد النداء الهامس و الاستفهام الذي لا يجد له إجابة أورداً، والنفي والأمر أحياناً كثيرة ، فهي بلاشك جملة الأساليب الإنشائية الأكثر شيوعاً في أغماتيات المعتمد إذ نجد من قوله :

دَعَا لِيْ بِالبَقَاءِ وَكَيْفَ يَهْوَى أَسِيْرٌ أَنْ يَطُولَ بِهِ البَقَاءُ ؟
أَلَيْسَ المَوْتُ أَرْوَحُ مِنْ حَيَاةٍ يَطُولُ عَلَى الشَّقِيِّ بِهَا الشَّقَاءُ؟!
أَأَرَاغِبُ أَنْ أَعِيْشَ أَرَى بَنَاتِي عَوَارِيٌّ قَدْ أَضَرَّ بِهِنَّ الحَفَاءُ؟!

فالملاحظ في هذه الأبيات أن المعتمد قد نوع في استعمال أدوات الاستفهام فنجد (كيف – أليس – أأراغب) بحيث جاءت أبياته توحي برفضه للحياة التي تحولت إلي حياة البؤس و الشقاء ، و بقيت عدة إشكالات أمامه لم يجد لها حلاً ، فكيف يتأتى له الرغبة في الحياة وهو يبصر بناته في أرذل المعيشة من دون حولٍ ولا قوة .

[1]- ديوان المعتمد بن عباد تحقيق أحمد أحمد بدوي وحامد عبد المجيد ص 94.
[2]- المصدر نفسه ص 28.

ونجد أيضاً أن المعتمد يلجأ إلى الأسلوب الطلبي ، وهو في حالٍ يتمنى لو تعود به عجلة الزمن إلى الوراء قائلا :

فَيَالَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَبِيتَنَّ لَيْلَةً أَمَامِي وَخَلْفِي رَوْضَةٌ وَ غَدِيرُ[1]

جاء البيت مبدوءاً بتمني تابعاً إياه باستفهام علّ الحلم يتحقق في يوم من الأيام وتعود الأيام الزاهرة مثلما كانت.

ونجد في شعر المعتمد أنه يلجأ إلى النداء كوسيلة للفت الانتباه إلى ما يقع له داخل الأسر في أغمات . و النداء في حقيقة الأمر وسيلة للتنفيس عما في القلوب لما يجده المعتمد من ألم و حسرة وأسفٍ في قوله :

مَاذَا رَمَتْكِ بِهِ الأَيَّامُ يَا كَبِدِي مِنْ نُبْلِهِنَّ وَلَا رَامٍ سِوَى القَدَرُ[2]

كما اعتمد أيضا شاعرنا على أسلوب النفي لما فيه من فخر بذاته و هو يبعد عن نفسه الأنهزام أو الاستسلام وهو داخل ساحة الوغى قائلا :

مَا سِرْتَ قَطُّ إِلَى القِتَالِ وَكَانَ مِنْ أَمَلِي الرُّجُوعُ[3]

ونجد أيضاً أسلوب النفي تعبير عن مكنونات المعتمد الباطنية و إبراز إنفعالاته و عواطفه حين قال :

وَلَمْ تَكُ وَاللهُ المُعِيذُ حُسَادَةً وَلَكِنْ حَنِينا إِنَّ شَكْلِي لَهَا شَكْلُ،[4]

إن وجود المعتمد في الأسر وهو مقيد هاج شجونه إلى طيف الحرية لما مرَّ عليه سرب قطا وهو يمرح في الجو دون قيود تعوق سبيله، فالملك الأسير هنا ينفي انه يحسد هذا القطا على حريته ولكن شكله بالقيود التي تكبله يستدعي الشفقة والحنين

أما إذا ألقينا نظرة إلى أساليب الأمر فقد جاءت في عدة أبيات نخص منها خطاب **المعتمد** للقيد علّه يرحمه و يعطف على بنياته و بنيه آمراً إياه في قوله :

تعطَّفْ فِي سَاقَيَّ تَعَطُّفَ إِرْقِمٍ يُسَاوِرُهَا عَضًّا بِأَنْيَابٍ ضَيْغَمِ

إلى أن يقول :

إِرحمْ أُخَيَّاتٍ لَهُ مِثْلُهُ جَرَّعْتَهُنَّ السُّمَّ و العَلْقَمَا[5]

فالأساليب كثيرة لا تحصى ولا تعد فيبقى فقط الجمال البلاغي و الروعة الفنية التي نُسِجت على منوالها هذه النفحات التي تحمل الحقيقة الإنسانية السامية بأغماتيات **المعتمد الأسير** إلى مرتبة الخلود و الرسوخ الدائم في الذاكرة.

---

[1] ـ ديوان المعتمد بن عباد تحقيق أحمد أحمد بدوي وحامد عبد المجيد ص 99.
[2] ـ المصدر نفسه ص 90.
[3] ـ المصدر نفسه ص 26.
[4] ـ المصدر نفسه ص 69.
[5] ـ المصدر نفسه ص 111.

II-**الصورة الفنية** :

ما دامت الصورة الفنية هو أن يتسامى الشاعر بما في الواقع إلى عالم خاصّ به **فإحسان عباس** يرى في مجمل كلامه أن الصورة الفنية هي الكشف عن روح الشعر ، و هذا يوحي إلى الكشف عن نفسية قائله ثم جماليات نصه[1]، وهذا ما نجده عند شاعرنا **المعتمد بن عباد** ، بحيث كان من أكثر الشعراء الأندلسيين الذين استخدموا الصورة الشعرية ، وجاء استخدامه لها من خلال طريقة نظمه ، فكون الدراسة خاصة بشعر أغماتياته نجد أن كثرة البكاء و التحسر على الماضي تُشكل المصدر الأساسي في الصورة الشعرية لدى المعتمد ، و أدوات التصوير الفني لديه متعددة فهو يلجأ إلى التجسيد أو التشخيص و استخدام الصور البيانية و المحسنات استخداماً فنياً خالصاً.

أ-**التجسيد** :نجد المعتمد بن عباد قد اتخذ لنفسه صورة رسم فيها حالة الإنسان اليائس الذي إعتراه الحزن ، والباكي على واقعه الأليم الذي لا أمل فيه من التغير ، واقع بائس لا شفقة فيه و لا رحمة ، فتصويره لهذا الحزن يتجلى حين رثي ولديه قائلاً :

فَلوْ عُدْتُمَا لاخْتَرْتُمَا العُوْدَ فِي الثَّرَى إِذْ أَنْتُمَا أَبْصَرْتُمَانِي فِي الأَسْرِ[2]

المعتمد لا يكتفي بتصوير ما آل إليه ، فقد رسم أيضاً لنفسه صورة الإنسان الصابر الثابت الذي لا تهزه العواصف مهما عصفت قائلاً :

لمَّا تَمَاسَكَتِ الدُّمُوعُ وَ تَنَبَّهَ القَلْبُ الصَدِيعُ
قَالُوا الخُضُوعَ سِيَاسَةٌ قُلْتُ لَهُمْ خُضُوعُ
وَأَلَذُّ مِنْ طَعْمِ الخُضُو عِ عَلَى فَمِي السُمَّ النَقِيعُ[3]

ما أبلغ هذه الصورة ، صورة الإنسان الثابت على موقف واحد ، صاحب القلب الشجاع الذي يرى في الموت شرفاً على الاستسلام و الخضوع إلى الأعداء.

أما الآلام التي ستبقى راسخة في ذهن الملك الذي ذل و التي ستزيد من أنينه وحزنه هي تذكره ماضيه السعيد في **إشبيلية** وحاضره التعيس في أغمات مصوراً ذلك في قوله :

تَبَدَّلْتُ مِنْ عِزِّ ظِلِّ البُنُودِ بِذُلِّ الحَدِيْدِ وَثِقْلِ القُيُودِ
وَكَأَنَّ حَدِيْدِي لِسَاناً ذَلِيقاً وَغَضْبَا رَقِيقاً صَقِيلَ الحَدِيدِ[4]

يبدو أن الشاعر لم يجد طريقا آخر إلا أن يعيش واقعه ويرضى به والماضي قد مضى فتذكره لا يزيده إلا الشجون والأسى على أيامه الفارطة ،وهذا الواقع المحزن دفع به إلى الإعتراف بما هو عليه واليأس من النجاة .

فما أحفل نظم الملك بالصور التي جسد فيها واقعَه المرير الذي يقطّع الأكباد وهو يصف شدة القسوة و البعد عن الأندلس الحبيب ونأي الخلان و الأصحاب واليَيْنُ عن البنين والبنات.

---

[1] - ينظر عزوز زرقان شعر الاستصراخ في الأندلس ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ط 1 2008 ص 241-243.
[2] - ديوان المعتمد بن عباد تحقيق أحمد أحمد بدوي وحامد عبد المجيد ص106.
[3] - المصدر نفسه ص23.
[4] - المصدر نفسه ص94.

ب- **الصور البيانية :**

1-**التشبيه** : لقد كثرت التشبيهات في أشعار المعتمد نظراً لجملة المقارنات التي يظل يعقدها بين الماضي والحاضر فنجد التشبيه البليغ في قوله :

مَجْدُنَا الشَّمْسُ ضِياءً وَسَنا مَنْ يَرُمْ سِتْرَ سَنَاهَا لَمْ يُطِقْ[1]

نجد المعتمد قد شبه المجد بالشمس و حذف منه أداة التشبيه وفق موقفه الإفتخاري بمجد أجداده.

وقوله أيضاً :

قَدْ كَانَ كَالثُّعْبَانِ فِي الوَغَى فَغَدَا عَلَيْكَ القَيدُ كَالثُّعْبَانْ[2]

يشبه المعتمد رمحه الذي كان فيما مضى كالثعبان في ساحة القتال وها هو الآن القيد يحلُّ محله ويشبهه هو الأخر كالثعبان أثناء التوائه عليه.

2- **الاستعارة المكنية** : للاستعارة المكنية مكانة في نظم المعتمد فنجد على سبيل المثال قوله

غَرِيْبٌ بِأَرْضِ المَغْرِبِين أَسِيْرُ سَيَبْكِي عَلَيهِ مِنْبَرٌ وَ سَرِيْرُ[3]

الجوامد لا تبكي و إنما شُبِّهتْ هنا بإنسان يذرف الدموع على خلوِّ العزيز ونأيه عنهم فحذف المشبه به وهو الإنسان وأبقى على أحد لوازمه وهي صفة البكاء .

ونجد استعارة مكنية أخرى في قوله :

لَمَّا تَمَاسَكَتِ الدُّمُوعُ وَتَنَبَّهَ القَلْبُ الصَّدِيعُ[4]

فيبدو في البيت استعارتين مكنيتين أولهما حين شبه الدموع بالإنسان الثابت الصلب الذي يتماسك أثناء الشدة فحذف المشبه به وهو الإنسان وأبقى على أحد لوازمه وهي صفة التماسك .

أما الثانية في الشطر الأخر من البيت حين قال (تنبه القلب) ،فالقلب لا يتنبه وإنما صفة هذه للإنسان بحيث حذفه و أبقى هو الأخر على أحد لوازمه وهي صفة " التنبيه " .

3- **الاستعارة التصريحية** : نجد الملك العزيز قد عمد في عدة مواطن على تشبيه نفسه بصفات العلى والرفعة كالقمر والنجوم والثريا وهي صفة من صفات كل الملوك مصرِّحاً و مفاخراً بذالك:

إِنَّ النُّجُومَ الَّتِي غَابَتْ قَدْ اِقْتَرَبَتْ مِنَّا مَطَالِعُهَا تَسْرِي إِلَى القَمَرِ[5]

يحوي البيت على استعارتين تصريحيتين ،ففي الأولى يشبه **المعتمد** كريماته بالنجوم وهُنَّ مقبلاتٍ عليه وحذف المشبه – نساءه – وأبقى على المشبه به وهو – النجوم – وفي الثانية يشبه نفسه بالقمر المضئ وحذف اسمه الذي هو المشبه.

فما أكبر وأعظم نفس المعتمد التي ترنو دائما إلى العلا.

---

[1] - ديوان المعتمد بن عباد تحقيق أحمد أحمد بدوي وحامد عبد المجيد ص 109.
[2] - المصدر نفسه ص115.
[3] - المصدر نفسه ص98. .
[4] - المصدر نفسه ص94 .
[5] - المصدر نفسه ص 100.

4- **الاستعارة التمثيلية:** وتظهر من خلال قوله :

شَيْـمَ الأُلَـــى أنَـــا مِنْهُمُـــو وَالأَصْـــلُ تَتْبَعُـــــهُ الفُرُوعُ[1]

تتجسد هذه الاستعارة حين يتباهى الملك بأصله أي كل من انحدر من نسب شريف كـــان شريفا.

5- **الجناس** : يبدو أن المعتمد قد أكثر من استعمال البديعيات وهذا دلالة على ما كان عليه وما هو عليه الآن ، فنجد الجناس في قوله حين سأله أحد الشعراء وهو في حالـــة الأســـر و الفقر قائلاً :

سَأَلُوا العَسِيْرَ مِنَ الأَسِيْرِ وإنَّهُ بِسُؤَالِهِمْ لَاَحَقُّ مِنْهُم فَا عْجَبِ .[2]

إذ يتضح **الجناس الناقص** بين كلمتي (العسير والأسير) .

ونجد **الجناس التام** في قوله :

جَزَيْـتُ أَبَـا العَـلَاءِ جَـزَاءَ بَـرٍّ نَـوَى بِـرًّا وَصَـاحَبَكَ العَـلاءُ .[3]

إن كلمة " العلاء " الأولى تعني اسم علم
و كلمة " العلاء " الثانية إشارة إلى الرفعة والسمو .

6_ **الطباق** : هذا النوع من المحسنات البديعية كثير ولازم في أبيات المعتمد حيث يقول فـــي إحدى المواضع :

فَأَوَّلُهَا رَجَاءُ مِـنْ سَـرَابٍ وآخِـرُهَا رِدَاءُ مِـنْ تُرَابِ .[4]

نجد الطباق بين (أولها# آخرها)

7- **المقابلة:** ومن الأمثلة عليها نجد :

وَكَمْ أَعْلَتْ عُلَاهُ مِنْ حَضِيْضٍ وَكَـمْ حَطَّتْ ظُبَاهُ مِنْ أَمِيْرِ[5]

فعبارة "أعلت وحضيض " تقابلها على الترتيب عبارة "حطت وأمير"

8- **الإقتباس:** نجد الإقتباس في قوله :

قَضَى اللهُ فِي حِمْـصٍ الـحِمَامِ وَبُعْثِرَتْ هُنَالِكَ عَنَّا النُّشُورُ قُبُورُ[6]

أقتبس البيت من قوله عز وجل (أفلاَ يَعْلَمُ إذَا بُعْثِرَ مَا فِي القُبُور)[7]

---

[1] - ديوان المعتمد بن عباد تحقيق أحمد أحمد بدوي وحامد عبد المجيد ص89.
[2] - المصدر نفسه ص92.
[3] - المصدر نفسه ص90.
[4] - المصدر نفسه ص96.
[5] - المصدر نفسه ص109.
[6] - المصدر نفسه ، ص 115.
[7] - سورة العاديات الآية 09 .

ونجد إقتباس اخر في قوله :

تَسِيْرُ إِلَى أَرْضٍ بِهَا كُنْتَ مُضْغَةً وَفِيهَا اكْتَسَتْ بِاللَّحْمِ مِنْكَ عِظَامُ[1]

كان اقتباس البيت من الآية الكريمة (وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ)[2]

[1] - ديوان المعتمد بن عباد تحقيق أحمد أحمد بدوي وحامد عبد المجيد ص113 .

[2] - سورة المومنون الآية 12-14.

III- الموسيقى الشعرية في أغماتيات المعتمد بن عباد

تعددت دراسة الموسيقى الشعرية لأغماتيات المعتمد من خلال الأوزان التي نظم عليها شعره والقافية التي إرتآها خاتمة لأبياته .

أ- **البحر العروضي**: للبحر العروضي دور مهم في تشكيل الموسيقى الخارجية ، بحيث امتطى المعتمد البحر الطويل و البسيط لأنها أطول الشعر العربي وأعظمه أبهة وجلالة ... و الطويل أفضلها و أجلُّها[1] ، كما أنه لم يهمل بقية البحور الأخرى كالرمل والخفيف والوافر والكامل والسريع .

والمتأمل لنظم المعتمد في هذه المرحلة يلاحظ أنه يتأرجح في مرثياته بين الطويل و البسيط ، الأول يستوعب أكبر قدر من المعاني والثاني الذي يتسم بالرقة والجزالة حيث يقول من الطويل وهو يرثي نجليه :

يَقُولُونَ صَبْرًا لَا سَبِيلَ إِلَى الصَّبْرِ سَأَبْكِي وَأَبْكِي مَا تَطَاوَلَ مِنْ عُمْرِي
هَوَى الكَوْكَبَانِ الفَتْحُ ثُمَّ شَقِيقُهُ يَزِيْدُ، فَهَلْ بَعْدَ الكَوَاكِبِ مِنْ صَبْرِ[2]

أما رثائه من البسيط حين قال:

قَبْرُ الغَرِيْبِ سَقَاكَ الرَّائِحُ الغَادِي حَقًّا ظَفِرْتَ بِأَشْلَاءِ ابنِ عَبَّادَ[3]

ويبدو أن المعتمد اختار هذان البحران نظرا لملائمتهما الموقف الجدي الذي كان فيه نتيجة الانفعال النفسي الذي يتعرض له وهو يستقبل النكبات يوما بعد يوم .

أما استخدام بحر السريع الذي يمثل العواطف الفياضة بسلاسة وعذوبة حتى أنه خاطب القيد واستعطف الحديد قائلا :

قَيْدِي: أَمَا تَعْطِفُنِي مُسْلِمًا ؟ أَبَيْتَ أَنْ تُشْفِقَ أَوْ تَرْحَمَا[4]

أما بحر المتقارب فهو بحر يحتوي على نغمة ورنة مطربة وهو أصلح للحركات السريعة وكون المعتمد قد نظم قصيدته في ثورة ابنه عبد الجبار فجاءت ملائمة لذلك حيث قال :

كَذَا يَهْلِكُ السَّيْفُ فِي جَفْنِهِ إِلَى هَزِّ كَفِّي طَوِيلَ الحَنِيْنِ[5]

---

[1] - عزوز زرقان شعر الاستصراخ في الأندلس ، ص 286 .
[2] - ديوان المعتمد بن عباد تحقيق أحمد أحمد بدوي وحامد عبد المجيد ، ص 105 .
[3] - المصدر نفسه ص96.
[4] - المصدر نفسه ص28.
[5] - المصدر نفسه ، ص116.

أما ما يخص الفخر فقد ارتأى بحري الكامل و الرمل ،حيث نجد من مجزوء الكامل قولـــه :

لَمَّا تَمَـــاسَكَتِ الدُّمُـوعُ وَتَنبَّـــــــــهَ القَـلْبُ الصَّـدِيْـعُ[1]

يوحي استخدام المعتمد لهذا البحر مجزوءا تلبية للموسيقى الحزينة التي يحتاج إليها هـذا السياق ، بحيث جاء الفخر هنا بصدد التحسر على الماضي ولم يكن فخرا بدافع الطرب.

أما توظيف الشاعر لبحر الرمل في افتخاره بنسبه في قصيدة مطلعها:

مِنْ عِزِّ المَجْدِ إِلَيْنَا قَدْ صَدَقْ لَـمْ يُلَـمْ مَـنْ قَالَ مَهْمَا قَالَ حَقْ[2]

وبهذا كان الوزن العروضي قد خدم عاطفة المعتمد الصادقة ، وانـسجم مـع الانفعـال النفسي الشجي الذي كان الدافع الحقيقي والأساسي لنظم القصائد.

[1] - ديوان المعتمد بن عباد تحقيق أحمد أحمد بدوي وحامد عبد المجيد ، ص 88 .

[2] - لمصدر نفسه ، ص109 .

ب-القافية: مادامت القافية علم يتناول نهايات البحور الشعرية أو المقاطع الصوتية الأخيرة في البيت ودراسة ما يعرض لها من حركة وسكون ... جواز...ولزوم ... فجاءت على هذا منقسمة إلى نوعين: مطلقة ومقيدة[1] .

ونجد شاعرنا قد استخدم القافية المطلقة في جميع شعره إلا في قصيدة واحدة حين افتخر فيها بنسبه قائلا :

مِنْ عِزِّ المَجْدِ إِلَيْنَا قَدْ صَدَقْ لَمْ يُلَمْ مَنْ قَالَ مَهْمَا قَالَ حَقْ[2]

جاءت القافية مقيدة في هذا الموضع ولم يتبع فيها الروي بأي حرف وأي حركة بحيث كان الروي ساكن ، وورد هذا البيت تعليقا على رؤيا توحي بنعي مُلك المعتمد فكان افتخار المعتمد بنفسه وبنسبه ، وكان هذا من أجل تبيان الثبات التام و الرضى الكامل بقضاء الله وقدره ، وفي السكون دلالة على الجلال و الوقار.

أما الإيقاع الحزين في شعر المعتمد فإنه يظهر من خلال استعماله لأحرف المد المناسبة للآهات و الأنات الحزينة التي تخرج زفراتها من قلب أسير حزين حيث يقول في ذلك :

فِيْمَا مَضَى كُنْتَ بِالأَعْيَادِ مَسْرُورَا فَسَاءَكَ العِيْدُ فِيْ أَغْمَاتَ مَأْسُورَا[3]

تظهر حروف المد في الكلمات الآتية من خلال البيت في :فيما – مضى – الأعياد – مسرورا – فساءك – العيد – في أغمات – مأسورا.

[1] - عزوز زرقان شعر الاستصراخ في الأندلس ، ص 288 .
[2] - ديوان المعتمد بن عباد تحقيق أحمد أحمد بدوي وحامد عبد المجيد ، ص 109 .
[3] - المصدر نفسه ص 100 .

الخاتمة

الخاتمة

بعد خوض هذه الرحلة الفكرية إلى بلاد الأندلس أو الفردوس المفقود كما سماها بعضهم ،أخلص إلى عدة نتائج مبينة في النقاط التالية:

1- امتطى الأندلسي الشعر رغبة في إبقاء الروابط بينه وبين انتمائه العربي و إن بدا عليه سيماء الاحتذاء والتقليد .

2- يعتبر الشعر الأندلسي مرآة عاكسة لشخصية الأندلسي وامتزاجه ببيئته الطبيعية و الاجتماعية .

3 – معاناة كل شعراء السجون من الأسى والكآبة حتى شكل عندهم الظلام المحور الرئيسي في شعرهم.

4 – تقلّب الحالة النفسية لشعراء السجون من الأسى بين اليأس وفقد الأمل تارة وبين الرعب والخوف تارة أخرى ،وبين الاستسلام للقضاء و القدر أحيانا.

5 – تمكن شعراء السجون من التأثير في المتلقي وجعله ينفعل ويحس بألمهم من خلال تعبيرهم من شدة المأساة بتوظيفهم الجيد للغة.

6 – عمق التجربة لدى هؤلاء الشعراء جعلتهم يؤمنون بحتمية تقلب الأيام ، أي يوم لك ويوم عليك.

7 – بكى شعراء السجون ماضيهم واعتبروه ذكرى عابرة وتوقهم إلى الحرية.

8 – هاجس الحنين الذي تملك المعتمد بن عباد في غربته عن إشبيلية وأمله في العودة إلى سالف العهد مسجلا حزنه في أبيات شجية مليئة بالأحزان الخفية الكامنة في نفسه جراء القهر وتقلب الأيام.

9 – ثراء المعاني وجلالها وصدق العاطفة أي عاطفة الأسى العميق التي تبدو من خلال تجارب المعتمد الشعورية التي أطلقت العنان لتدفق المشاعر الفياضة الحاملة لرحلة ذكرياته الملوكية وصولا إلى أغمات.

10 – برع المعتمد في التصوير والتجسيم والبعد عن التكلف والغموض .

11- وفي الأخير يبقى شعراء السجون في رثاء دائم على ماضي راح ولن يعود واقفين على أطلال محياها في ذكراهم وطيفها بين أعينهم مودعين كل شيئ جميل ضاع واتضع.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم برواية ورش عن نافع .

قائمة المصادر

1-ابن زيدون (الديوان) تحقيق حنا الفاخوري، دار الجيل بيروت ط1: 1990

2-ابن سعيد المغربي المغرب في حلى المغرب ج1،تحقيق شوقي ضيف دار المعارف ط1(د.ت) .

3) ابن شهيد الأندلسي ورسائله (الديوان)جمعه وحققه وشرحه محي الدين ديب المكتبة العصرية صيدا لبنان ط1 1997 .

4)أبي الحسن علي بن بسام الشنتريني الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ق2، مج1، ق4، مج1 ، تحقيق إحسان عباس ، بيروت لبنان ، دار الثقافة ، ط1 1965 .

5) أبي عبد الله محمد بن عبد الله أبي بكر القاضي المعروف بابن الأبار الحلة السيراء ، تحقيق حسين مؤمن الشركة العربية للنشر والتوزيع ط:1963 .

6)أبي محمد بن أبي نصر فتوح بن عبد الله الأزدي الأندلسي جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس ، تحقيق روحية عبد الرحمان السويفي، دار الكتب العلمية . بيروت لبنان ، ط1997م .

7)شهاب الدين محمد بن محمد المقّري التلمساني نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين الخطيب مج1 ، مج 4 حققه إحسان عباس ، دار صادر بيروت (د،ط) ، (د،ت).

8)الضبي بغية الملتمس في تاريخ رجال الأندلس مج1، مج4 ، دار الكتاب المصري القاهرة (د-ط) ، (د-ت).

9)عبد الواحد المراكشي المعجب في تاريخ المغرب (من لدن فتح الأندلس إلى آخر عصر الموحدين) (مع ما يتصل بتاريخ هذه الفترة من أخبار القراء و أعيان الكتاب) ، تحقيق محمد سعيد العربان (د-ط) ، (د-ت) .

10) لسان الدين بن الخطيب الإحاطة في أخبار غرناطة مج2 ، الشركة المصرية للطباعة و النشر ط1: 1974 .

11) المعتمد بن عباد (الديوان) ، تحقيق أحمد أحمد بدوي وحامد عبد المجيد ، المطبعة الأميرية بالقاهرة (د، ط) 1951.

قائمة المراجع

1- إبراهيم بن مراد مختارات من الشعر المغربي والأندلسي ، دار الغرب الإسلامي بيروت ، لبنان ، ط 1 : 1986 م .

إحسان عباس

2- تاريخ الأندلسي عصر الطوائف والمرابطين ، دار الثقافة بيروت ، لبنان ، ط 6 : 1981 .

3- تاريخ الأندلسي عصر سيادة قرطبة ، دار الثقافة : بيروت ، لبنان ، ط 6 : 1981 .

4- أحمد أمين ظهر الإسلام دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان (د ، ط) 2008 ص 446 .

5- بسام العسلي مشاهير قادة الإسلام ج1 المعتمد وابن تاشفين ، دار النفائس ، بيروت، ط1 : 1980 .

6- بطرس البستاني أدباء العرب ، دار مارون عبود ، (د ، ط) ، (د ، ت) .

7- حمدان حجاجي محاضرات في الشعر الأندلسي في عصور الطوائف ألقاها بالكوليج دي فرانس بباريس في شهر مارس سن 1993 .

8- حنا الفاخوري الموجز في الأدب العربي وتاريخه (الأدب في الأندلس والمغرب أدب الانحطاط) ج3 ، دار الجيل : بيروت ، ط2 1991 .

9- سالم المعوش شعر السجون في الأدب العربي الحديث والمعاصر ، دار النهضة العربية : بيروت ، لبنان ، ط1 : 2003 .

شوقي ضيف

10- عصر الدول والإمارات ، الأندلس ، دار المعارف ، ط2 (د ، ت) .

11- فنون الأدب العربي ، الفن الغنائي ، الرثاء ، دار المعارف القاهرة ط4 (د ، ت) .

12- صلاح جرار قراءات في الشعر الأندلسي ، دار الميسرة عمان ، ط1 ، 2007 .

13- عبد العزيز عتيق الأدب العربي في الأندلس ، دار النهضة العربية بيروت ، لبنان (د ، ط) 1967 .

14 - عبد القادر هني مظاهر التجديد في الشعر الاندلسي قبل سقوط قرطبة ، دار الأصل المدينة الجديدة ، تيزي وزو ، (د ، ط) ، (د ، ت) .

15 - عزوز زرقان شعر الاستصراخ في الأندلس ، دار الكتب العلمية : بيروت ، لبنان ، ط1 ، 2008 .

16 - علي أحمد عبد الهادي الخطيب قطوف من ثمار الأدب الاندلسي ، دار نهضة الشرق ، جامعة القاهرة ، ط1 ، 2000 .

17 - علي بن محمد النثر الاندلسي في القرن الخامس " مضامينه وأشكاله " ج1 ، دار الغرب الإسلامي : بيروت ، لبنان ط1 ، 1990 .

18 - عمر فروخ الأدب في المغرب والأندلس (إلى آخر عصر الملوك والطوائف) ج4 ، دار العلم للملايين ، بيروت (د ، ط) ، (د ، ت)

فوزي عيسى .

19 -في الأدب الأندلسي ، دار المعرفة الجامعية (د ، ط) 2004 .

20 – الهجاء في الأدب الأندلسي ، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر ط1 ، 2007 .
21 – ماريا خيسوس روبييرا متي ترجمة وتقديم اشرف علي دعدور المجلس الأعلى للثقافة ، (د ، ط) 1999 .
22 – محمد رضا الشبيبي أدب المغاربة والأندلسيين (في أصوله المصرية ونصوصه العربية) دار إقرأ ، ط2 : 1984 .
محمد رضوان الداية
23 – أندلسيات شامية وبحوث أخرى ، دار الفكر ، دمشق ، سوريا ، ط1 : 2000 .
24 – في الأدب الاندلسي ، دار الفكر المعاصر : بيروت ، لبنان ط1 : 2000 .
25 – محمد سعيد محمد دراسات في الأدب الأندلسي ، منشورات ، جامعة سبها ، سبها ليبيا (د ، ط) ، (د ، ت) .
26 – مصطفى السيوفي تاريخ الأدب الأندلسي ، الدار الدولية للاستثمارات الثقافية ش ، م ، م القاهرة ، مصر ، ط1 :2008 .
27 – مقداد رحيم رثاء النفس في الشعر الأندلسي ، عمان ، دار جهينة ،ط1 : 1997م
28 – نافع عبد الله الشوق والحنين في الشعر الاندلسي ، دار الوسام ، بيروت ،ط1 : 2003 م .
29 – يوسف عطا الطريفي شعراء العرب المغرب والأندلس ، الأميرية للنشر والتوزيع المملكة الأردنية ، عمان ، ط1 : 2007م .
30 يوسف عيد دفاتر أندلسية (في الشعر والنثر والنقد والحضارة والإعلام) ، المؤسسة الحديثة للكتاب ، طرابلس لبنان ، (د ، ت) ، (د ، ط) .

المجلات والدوريات

1- فاروق شوشة ، المعتمد بن عباد ، الكتاب العربي ، مج325 العدد 58 ، 15 أكتوبر 2004 .
2- ماضي الخميس شاعر الملوك وملوك الشعراء ، كتاب العربي مج1الفصلي ، العدد 35 ، 15 يناير 1999 .

المواقع الالكترونية

– رشا الخطيب ، شعراء وقصائد خلف سجون الأندلس ، www.almshreg.com

الفهرس

الفهرس

- مقدمة .....أ
- مدخل 2
- **الفصل الأول** : شعر السجون في الأدب الأندلسي

I -أسباب شعر السجون.....7

II -موضوعات شعر السجون.....9

- **الفصل الثاني** : أغماتيات المعتمد بن عباد

I - الحياة الاجتماعية للمعتمد بن عباد.....18

II - الحياة الأدبية للمعتمد بن عباد.....24

- **الفصل الثالث** : الخصائص الفنية لأغماتيات المعتمد بن عباد.

I -اللغة والأسلوب 37

II -الصورة الفنية 41

III -الموسيقى الشعرية 45

- **خاتمة** 49

- **قائمة المصادر ولمراجع** 51

- **الفهرس**.....55